حياة القلوب

بدعاء علام الغيوب

لإمام الحرم المكي

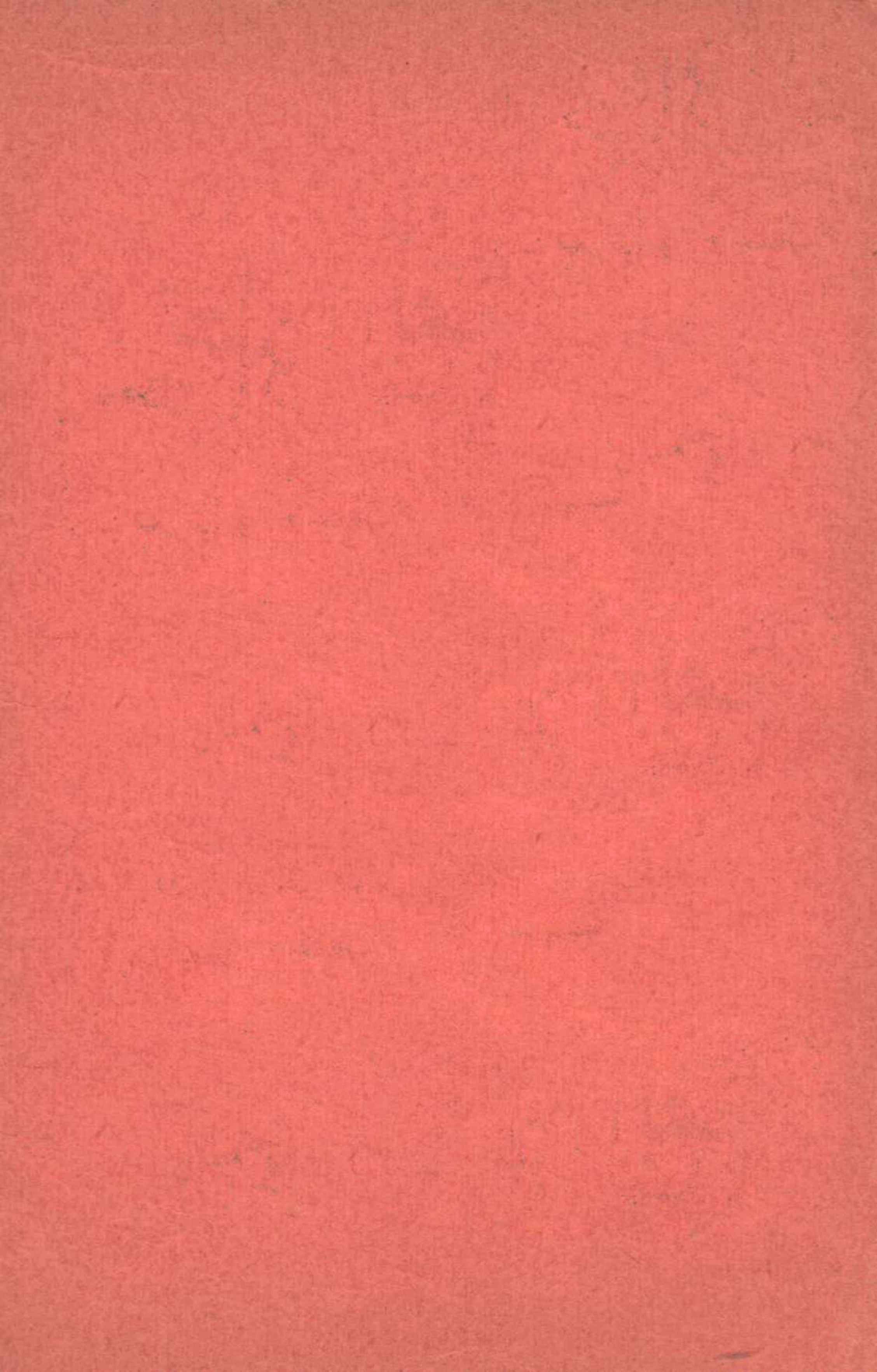
أبي السمح محمد عبد الظاهر بن محمد نور الدين الفقيه

حياة القلوب بذكر الإله	وتسبيحه باسمه كل حين
ألست ترى الأرض تحيا بماء	وتأتي بما يعجب الناظرين
فإن لم يصبها سماء بماء	تموت وفي ذا البلاء المبين

الطبعة الثانية سنة ١٣٦٦

مطبعة الإمام

مصر - عابدين - ١٠ الدمالشه



حياة القلوب

بدعاء علام الغيوب

لإمام الحرم المكى

أبى السمح محمد عبد الظاهر بن محمد نور الدين الفقيه

حياة القلوب بذكر الإله	وتسبيحه باسمه كل حين
ألست ترى الأرض تحيا بماء	وتأتى بما يعجب الناظرين
فإن لم يصبها سماء بماء	تموت وفى ذا البلاء المبين

الطبعة الثانية سنة ١٣٦٦

مطبعة الإمام

مصر - عابدين - ١٠ الدمالشه

فهرس حيـــاة القلوب

تابع فهرس حيـــاة القلوب

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله الذى هدانا لمعرفته وتوحيده وأكرمنا باتباع رسوله محمد ﷺ ووفقنى للدعوة إليه والعمل بكتابه وسنة رسوله ﷺ والنصيحة لخلقه بقدر الاستطاعة

وبعد فلما نفدت الطبعة الأولى من حياة القلوب وكثر طلب الناس له وإقبالهم عليه. دعانى ذلك لإعادة طبعه وتنقيته مما كان فيه من زيادة المباشرين لطبعته الأولى ، وأن ألحق فيه مواضيع إصلاحية تهم القراء ، وانتهزت فرصة وجودى بمصر فى صيف سنة ٦٦ فباشرت بنفسى تصحيحه وتحقيقه، وهأنذا أزفه للقراء الكرام، فى ثوبه القشيب الجديد راجيا أن يقع منهم موقع القبول ، والله نسأل أن ينفع به مَنْ تَلَقَّاهُ بقلب سليم، وحسبنا الله ونعم الوكيل (إن أريد إلا الاصلاح مااستطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) وكتبه أبو السمح عبد الظاهر محمد إمام الحرم المكى ومدير دار الحديث بالجيزه فى رجب الخير سنة ١٣٦٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نستعينه ونستهديه ، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا . من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أدّى الرسالة وبلّغ الأمانة ، وجاهد فى الله حق جهاده حتى أتاه اليقين من ربه ، ماترك شيئاً يُقرّب العباد إلى ربهم إلا وبينه لهم ، ولا شيئا يبعدهم عنه ويُدْنِيهم من النار إلا حذّرهم منه . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين .

(أما بعد) فهذه رسالة فى توحيد الألوهية — أى فى إفراد الله تعالى بالعبادة — عنيت بها وكتبتها لمّا وجدت كثيراً من العلماء ، فضلا عن العامة ، يؤلّهون غير الله بدعائهم ونذرهم وذبحهم وطوافهم وحبهم وخوفهم ، وغير ذلك من العبادات الظاهرة والباطنة ، ويسمون ذلك كله توسلا ووساطة واستشفاعا ، ويقولون : ماندعوهم ولاننذر لهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، لأن لهم جاها عند الله وقربا منه جل شأنه . وهذا القول مثل قول إخوانهم السابقين ، الذين حكى الله قولهم فى أول سورة الزمر (والذينَ اتّخذوا مِنْ دونِه أَوْلياءَ ما نعبدُهُم إلاّ ليقربُونا إلى الله زُلفَى) وسميتها (حياة القلوب بدعاء علام الغيوب) رجاء أن تحيا بها قلوبٌ أماتَها الشركُ ، وران عليها الضلال

وضممت إليها قصيدتى النونية ، فى بيان الوسيلتين الاسلامية والشركية ، وأنواع التوحيد . ثم أردفتها بعقيدة أبى الحسن الأشعرى منقولة من كتاب « مقالات الاسلاميين » لتكون حجة على المنتسبين إليه وهم جهمية ، وختمت هذه الرسالة بمقالات فى بيان حقيقة الاسلام

فأسأل الله تعالى أن يجعل عملى خالصا لوجهه الكريم . وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين (وبعد) فأقول :

« (انَّ الدُّعاءَ هوَ العبادَةُ) »

حديث شريف ، رواه غير واحد من أصحاب الكتب الستة ، كأبى داود والترمذى ، من حديث النعمان بن بشير رضى الله عنه .

وللترمذى عن أنس بلفظ : « الدُّعاءُ مُخ العِبَادة »

إذا أردنا تحليل هذا الحديث الشريف احتجنا إلى مجلد ضخم ، فلنقتصر هنا على بيان يسير يفهم منه الكل إن شاء الله :

تَصَفَّحْ مَعِي كتابَ الله تعالى ، والتمس هذه المادة فيه « دعا » وماتصرف منها . لأننا فى حاجة جدّية إلى دعاء من يأخذ بأيدينا ويقيلنا من عثراتنا ، وينصرنا على أعدائنا ، ولاريب أن ربنا سبحانه وتعالى أقدر مدعو وأرحم . ولذا أمرنا فى كتابه العزيز بدعائه فى آيات كثيرة ، كقوله جل شأنه (٤٠ : ٦٠ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادعونِى أَسْتجبْ لكمْ) وقال (٢ : ١٨٦ وإذا سَألكَ عِبادى عنى فإنى قريبٌ أُجيبُ دَعوةَ الدَّاع إذَا دَعانِ) وقال (٤٠ : ٦٥ هُوَ الحىُّ لا إلَهَ إلاَّ هُوَ

فادعوه مخلصين له الدين ، الحمد لله رب العالمين) وقال (٣٥ : ١٥ ياأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد)

هذه أوامر أمرنا الله بها فى كتابه ، ولا ريب أن النبي صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه وأمته جميعاً آداب الدعاء وكيفيته : قولا وعملا وإقراراً بمقتضى قوله تعالى (١٦ : ٤٤ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون)

وللترمذى وصححه ابن حبان والحاكم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه يرفعه « ليس شىء أكرم على الله من الدعاء »

كيف ندعو ربنا ؟

قال تعالى (٢١ : ٩٠ وزكريا إذ نادى ربه ، رب لا تذرنى فرداً وأنت خير الوارثين . فاستجبنا له ووهبنا له يحيي وأصلحنا له زوجه، إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهباً وكانوا لنا خاشعين)

فينبغى لنا أن ندعو الله تعالى رغبا ورهبا ، خاشعين لله ، راجين رحمته ، مؤملين فضله .

وقال تعالى (٧ : ٥٥ أدعوا ربكم تضرعاً وخفية ، إنه لا يحب المعتدين) أى : لا يحب المعتدين فى الدعاء

قال ابن جرير فى تفسير الآية : ادعوا أيها الناس ربكم وحده، فأخلصوا

له الدعاء ، دون ماتذعون من دونه من الآلهـة والأصنام ، تضرعا ، يقول تذللا واستكانة لطاعته ، وخفية . يقول : بخشوع قلوبكم ، وصحة اليقين منكم بوحدانيته فيما بينكم وبينه ، لاجهـــارا مراءاة وقلوبكم غير موقنة . ثم روى عن أبى موسى قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم فى غزاة ، فأشرفوا على واد يكبرون ويهللون ويرفعون أصواتهم .

فقال : يَاأيها الناس ، أرْبِعوا علىَ أنفسكم ، إنَّكم لاَ تَدْعونَ أصم ولا غائباً ، إنكم تدعون سميعاً قريباً معكم » وكذلك رواه البغوى ، وعيّن الغزوة بخيبر . وروى الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه عن مولى لسعد بن أبى وقاص « أنه سمع اُبناً له يدْعو وهو يقول : اللهمَّ إنى أسألك اُلجنة ونعيمها وإسْتبرقها ونحواً من هذا ، وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها . فقال لقد سألت الله خيراً كثيراً ، وتعوذت به من شر كثير . وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنَّه سيكون قومٌ يعتدون فى الدُّعاء ، وقرأ (أدْعوا ربَّكم تضرعًا وخفيةً إنَّه لا يُحبُّ اُلمعتدين) وإن بحسبك أن تقول : اللهم إنى أسألك اُلجنة ، وماقَرب إليها من قَولٍ أو عَملٍ ، وَأعوذ بك من النارِ وَما قرَّب إليها من قول أو عَمل » وروى الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه مثله عن ابن عبد الله بن مغفل .

والاعتداء فى الدعاء رفع الصوت به ، وعدم الخشوع فيه ، ودعاؤه تعالى بغير أسمائه الحسنى ، فانه تعالى يقـول : (٧ : ١٨٠ وَلله الأسماء

الحسنى فادعوه بها وذروا الَّذِين يلحدون فى اسمائه سَيجزوْنَ مَا كانوا يعملون)

وإذا تصفحنا كتب السنة ، وقرأنا فيها أبواب الدعاء ، وجدنا فيها أدعية الرسول صلى الله عليه وسلم فى كل حال من أحواله ، وشأن من شؤنه ، ولاسيما عند الكرب . ومنه (٢١ : ٨٧ لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين) وهو دعاء أخيه يونس بن متى عليه السلام ، إذ كان فى بطن الحوت . وقد رواه أحمد والترمذى والنسائى والحاكم والبيهقى عن سعد بن أبى وقاص بلفظ : « دعوة أخى ذى النون إذ دعا بها وهو فى بطن الحوت : لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين . لم يدع بها مسلمٌ قط إلاَّ أُستجاب الله له »

وكان له دعاء ، بل أدعية عند النوم واليقظة ، وعند دخول الخلاء ، وبعده ، وعند دخول المسجد والخروج منه ، وفى الصلاة وبعدها ، وبين الأذان والاقامة . وقال صلى الله عليه وسلم : « أقرب ما يكون العبْدُ منْ ربِّه وهُو ساجد ، فاجتهدوا فى الدعاء فقَمِنٌ أن يستجاب لكم » رواه مسلم وأبو داود والنسائى عن أبى هريرة .

ومن صيغ الدعاء الواردة فى القرآن والسنة مايبين لك الكيفية بيانا شافيا . قال تعالى عن أولى الألباب : (٣ : ١٥٦ الذين يذكرون الله قياماً وقُعوداً وعلىَ جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربَّنا ماخلقت هذا بَاطلا سبحانك فقنا عذاب النار . ربَّنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار . ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للايمان

أَن آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وَكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار . ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة ، إنك لاتخلف الميعاد . فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض)

وقال تعالى : (٤٠ : ٧ الذين يحملون العرشَ وَمن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ، ويستغفرون للذين آمنوا ، ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً ، فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم (٨) ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلحَ من آبائهم وأزْواجِهم وذرياتهم إنك أنتَ العزيز الحكيم . (٩) وقهم السيئات ، ومَن تق السيئات يومئذ فقد رحمته ، وذلك هو الْفوز العظيم)

ومنها أيضا قوله تعالى (٢٣ : ١١٨ وَقل رَب اُغفرْ وارحم وأَنت خير الراحمين) وقوله (٢٠ : ٢٤ وقل رَب زِدْنى علماً) وقوله (١٧ : ٢٤ وَقل رب اُرحمهما كَماَ ربيانى صغيراً) وقوله (٢٨ : ٢٤ رب إِنى لَما أَنزَلتَ إِلىَّ من خيرٍ فقير) وقوله (١٤ : ٤٠ رَب اجعلنى مقيم الصلاة ومنْ ذريتى ، ربَّنا وتقبل دعاء ٤١ ربنا اغفر لى ولوالدىَّ وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) وقوله (٦٦ : ١١ وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت ربِّ ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين)

وفى القرآن الكريم صيغ كثيرة عن الأنبياء وغيرهم من عباد الله الصالحين ، فيها غناء للطالبين

ومما ورد فى السنة مارواه أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن عبد الله بن بريدة « أنَّ النبى صلى الله عليه وسلم سَمع رجلاً يقـولُ : اللهمَّ إنى اسأَلكَ بأَنى أَشهد انك انت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحدٌ . فقال النبي صلى الله عليه وسـلم : لقد سأَل الله بالاسم الأعظم الذى إذا دُعى به أجاب . وإذا سئل به أعطى »

وسأل كثير من الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن يعلمهم دعاء فعلمهم . منهم أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فقد روى أحمـد والبخارى ومسلم وأصحاب السنن ، أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم « عَلمنِى دعاء أدعو به فى صلاتى ، فعلمه : اللهم إنى ظلمت نفسى ظلماً كثيراً ، ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لى مغفرةً من عندك وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم » . وروى الترمذى وصححه ، والحاكم عن عائشة قالت : « قلت يارسول الله، أرأيت إن علمت ليلةالقدر ماأقول فيها ؟ قال قولى : اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى [1] »

---

(١) وقد جمع كثير من العلماء كثيراً من الأدعية النبوية وآدابها ، ليستن الناس بها ، ويتبعوا المصطفى صـلى الله عليه وسلم فيها فيستجاب لهم . منهم الإمام النووى وكتابه فى ذلك اسمـه (الاذكار) وهـو مشهور . ومنهم الإمام الحافظ ابن الجزرى فى (الحصن الحصين) ومن الكتب الطيبة فى ذلك (الكلم الطيب) لشيخ الإسلام ابن تيمية (والوابل الصيب) لتلميذه العلامة —

وهذه سورة الفاتحة — أم الكتاب — فيها بيان أكمل كيفية للدعاء وأجلها عند الله أيضاً . وذلك أن الله تعالى بدأها بحمده والثناء عليه وتمجيده وتخصيصه بالعبادة والاستعانة ، وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم بطريقة الخطاب والمناجاة بلا واسطة — (إياك نعبد وإياك نستعين ، إهدنا الصراط المستقيم) . الخ

فلو لم يكن فى القرآن ولا فى السنة سواها لكفت العقلاء ، ولقاسوا عليها سائر الأدعية . من تقديم الثناء على الله تعالى وتمجيده وتعظيمه ثم دعائه ، فيكون الأول وسيلة ومقدمة بين يدى الدعاء [١] . ومن تدبر أدعية الكتاب والسنة وجدها على هذا النمط

ولقد مدح الله تعالى عباده الذين يفردونه بالدعاء والالتجاء . يقولون ربنا ، ربنا . بقوله (٢٥ : ٦٤ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ٦٥ والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً ٦٦ والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ، إن عذابها كان غراماً ٦٧ إنها ساءت مستقراً ومقاماً ٦٨ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ٦٩ والذين لايدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون . ومن يفعل

= ابن قيم الجوزية . ومنهم العلامة حسن صديق خان فى كتابه (نزل الأبرار) وقد تكفلت كتب السنة ولله الحمد بالكثير الطيب منها .

(١) وقد تكلم الامام الجليل ابن القيم على الفاتحة وأسرارها فى « مدارج السالكين » بما لم يسبق إليه . فارجع إليه لترى من نور القرآن مايشرح صدرك إن شاء الله .

ذلك يلق أثاماً ٧٠ يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ٧١ إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئكَ يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما ٧٢ ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا ٧٣ والذين لايشهدون الزور وإذا مرُّوا باللغو مرُّوا كراماً ٧٤ والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا ٧٥ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما ٧٦ أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقَّون فيها تحية وسلاما ٧٧ خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاما ٧٨ قل مايعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما)

﴿ دعاء الله وذكره ﴾

دعاء الله وذكره فى السراء والضراء علامة المؤمنين . ودعاؤه فى الضراء فقط مع دعاء غيره فى السراء علامة المشركين

إن من الفروق بين المؤمنين والمشركين : أن المؤمنين يدعون ربهم فى السراء والضراء ، ويذكرونه على كل حال : فى اليسر والرخاء ، فى الغنى والفقر ، فى السر والجهر ، فى الكرب والفرج ، فى الضيق والسعة ، فى الحزن والفرح ، على حد سواء ، هو ربهم وإليه ملجأهم ، وهو الذى يعلم سرهم ونجواهم ، ويعلم ما فى الصدور .

وأما المشركون فلا يدعونه إلا فى الكرب وعند نزول الخطب ويعرضون عن ذكره فى الرخاءِ ، وكثيراً ما ينسونه فى السراء والضراء

ويذكرون سواه من الأولياء ، ومما يورث الحسرة فى قلب المؤمن أن هذا حال كثير ممن ينتمون إلى الإسلام فى زماننا هذا ، إلا من رحم الله منهم وأنار بالهدى بصائرهم ، وقليل ماهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله

برهان ذلك : قول الله تعالى (٢٩ : ٦٥ فإذا ركبوا فى الفلك دعوا اللهَ مخلصين له الدينَ ، فلما نجّاهم إلى البرِّ إذا هم يشركون) يبين لك هذا المعنى قول الله تعالى (١٠ : ٢٢ هوَ الذى يسيِّركم فى البرِّ والبحر حتىَّ إذا كنتم فى الفلك وجرينَ بهم بريحٍ طيبةٍ وفرحوا بها جاءتها ريحٌ عاصفٌ وجاءهم الموجُ من كل مكان وظنوا أنهم أُحيطَ بهم دَعوا اللهَ مخلصينَ له الدينَ لئن أنجيتنا من هذه لنكونَنَّ من الشاكرين ٢٣ فلما أنجاهم إذاهم يبغونَ فى الأرض بغير الحق . يا أيها الناس إنما بغيُكم على أنفسكم متاعَ الحياةِ الدنيا ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملونَ) وقوله (٣١ : ٣٢ وإذا غشيهم موْج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البرِّ فمنهم مقتصدٌ ، وما يجحد بآياتنا إلا كلُّ ختار كفور) فأخبر سبحانه أنهم ــ أى المشركين ــ يدعون الله تعالى فى الشدائد والكروب ، كالغرق ونحوه فاذا نجاهم دعوا سواه من أوليائهم : اللات والعزى ، ومناة ، على سبيل التقرب بها إلى الله . ولذا قال الله تعالى (٤٦ : ٢٨ فلولا نصرهمُ الذين اتخذُوا من دون الله قرباناً آلهةً بل ضلوا عنهم ، وذلك إفكهم وما كانوا يفترون)

وقد حكى الله عن المشركين فى غيرما آية أنهم كانوا يخلصون له الدعاء فى الشدائد ، ويدعون سواه فى الرخاء . ولذا كانوا بذلك مشركين ، فما

قولك أيها العاقل المفكر فيمن يدعون غير الله فى السراء والضراء والفرج والكرب ، ولا يذكرون الله إلا وهم مشركون به غيره ممن يعتقدون فيهم تفتيح الأعمى ، وإنجاد العيّان ، وشفاء الكسيح ومعافاة المريض والجريح ونصر المَضيم ، وإغاثة الملهوف ، وحماية الخائف ، وإحضار الغائب ونحو ذلك

﴿ نهى الله تعالى عن دعاء سواه ﴾

« كائناً من كان »

ولقد نهى الله تعالى عن دعاء سواه ، وسمى ذلك ضلالا وشركا فى آيات كثيرة : منها قوله تعالى (٧٢ : ١٨ وأنَّ المساجدَ لله فلا تدعو مع الله أحداً) وقوله (٧٢ : ٢٠ قل إنما أدعو ربى ولا أشركَ به أحداً) وقوله (١٠ : ١٠٦ ولا تدع من دونِ اللهِ مالا ينفعكَ ولا يضركَ ، فانْ فعلت فانك إذاً من الظالمين) وقوله (٤٦ : ٥ ومن أضلُّ ممن يدعُوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون) وقوله (٧٤ إن الذين تدعون من دون الله لنْ يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذبابُ شيئاً لا يستنقذوه منه ، ضعُف الطالبُ والمطلوب، ما قدروا الله حقَّ قدره إن الله لقوىٌّ عزيز) سورة « الحج » وقوله (١٢٥ أتدعونَ بعلا وتذرون أحسن الخالقين . الله ربكم ورب آبائكم الأولين) سورة « الصافات » . وقوله (٣٩ : ٣٦ أليس الله بكافٍ عبده ويخوفونك بالذين من دونهِ) وقوله (٤٦ : ٤ قل أرأيتم ما

تدعون من دون الله ؟ أرونى ماذا خلقوا من الارض أم لهم شركٌ فى السموات) . وقوله (٣٩ : ٣٨ قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره . أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته ؟ قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون) وقوله (٢٧ : ٦٢ أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلاً ما تذكرون ٦٣ أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ؟ ومن يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته ؟ أإله مع الله ؟ تعالى الله عما يشركون ٦٤ أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ؟ ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله ؟ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) فليس هناك معبود مع الله يصح أن يدعى . تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

فيجب على أولئك الذين ينتمون إلى الإسلام أن يتدبروا هذه الآيات البينات ، وأن يرجعوا إلى الله تعالى ويدعوه وحده بأسمائه الحسنى ولا يدعوا معه أحدا من ملك او نبى او ولى . وإلا رَدَّ دعاءَهم وغضب عليهم ربهم ، فيخذلهم وينصر عليهم عدوهم ، كما هو واقع الآن فان الله جل شأنه يقول وقوله الحق (١٣ : ١٢ إنَّ الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)

بيان حقيقة وازالة شبهة

بيَّن الله تعالى لنا فى كتابه الكريم أن الناس قسمان : ولى لله ، وعدو له . فقال تعالى (٦٤ : ٢ هو الذى خلقكم فمنكم كافرٌ ومنكم مؤمنٌ ، والله

بما تعملون بصير) وقال جل شأنه (٥٦ : ٢٧ وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين ٢٨ فى سدر مخضود ٢٩ وطلح منضود ٣٠ وظل ممدود ٣١ وماء مسكوب ٣٢ وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة ٣٣ وفرش مرفوعة ٣٤ إنا أنشأناهن إنشاء ٣٥ فجعلناهن أبكاراً ٣٦ عرباً أتراباً ٣٧ لأصحاب اليمين ٣٨ ثلة من الأولين وثلة من الآخرين) ثم قال (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال فى سموم وحميم وظل من يحموم ، لا بارد ولا كريم) وقال تعالى (٦١ : ١٤ فآمنت طائفة من بنى إسرائيل وكفرت طائفة ، فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) وقال (٤٢ : ٧ فريق فى الجنة وفريق فى السعير) وقال (٦٠ : ١ ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق)

وقد وصف الله أولياءه فى القرآن الكريم بأوصاف بينة ظاهرة قال تعالى (١٠ : ٦٤ ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون : لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ، ذلك هو الفوز العظيم) وقال (٨ : ٣٤ إن أولياؤه إلا المتقون ، ولكن أكثرهم لايعلمون)

وقد أمر الله الخلق بأن يعبدوه ويتقوه ، ويكونوا له أولياء وأنصارا قال تعالى (١٦ : ٣٦ ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ، فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة) وقال (٦١ : ١٤ ياأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله) أى أولياءه . وإذ كان أولياؤه تعالى هم المؤمنين المتقين فما علينا إلا أن نؤمن ونتقى كما أمر

الله تعالى وكما وصى . قال تعالى (٤:١٣١ ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله ، وإن تكفروا فان لله ما فى السموات وما فى الأرض وكان الله غنياً حميدا)

فتبين مما ذكرنا لك أن الناس قسمان فى الدنيا : إما أولياء لله ، وإما أعداء لله . وكذلك يكونون فى الآخرة . قال تعالى (٣٠ : ١٥ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون . وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك فى العذاب محضرون) وتبين أن الولاية لاتكون إلا بالتقوى . قال تعالى (٤٩ : ١٣ إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وقال (وتزودوا فان خير الزاد التقوى ، واتقون ياأولى الألباب) وقال (ياأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وماهم بسكارَى ولكنَّ عَذاب الله شَدِيدٌ) وتقوى الله هى اتباع ماأمر الله ورسوله ، وإخلاص العبادة لله ، واجتناب مانهى الله عنه ورسوله صلى الله عليه وسلم

فإذا اتقى العبد ربه أصبح وليا لله ، والله وليه . كما قال جل شأنه : (الله ولىُّ الَّذينَ آمنوا يخرجهم مِنَ الظلماتِ إلى النور . والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)

وأولياء الله تعالى يكرمهم الله بكرامات لاتدخل تحت حصر ، ولو لم يكن من إكرامه إياهم إلا توفيقهم لذكره وشكره وطاعته ،

وحفظهم من الذنوب وعاقبتها لكفاهم . فكيف وقد زادهم الله من فضله ، ونعمهم بمناجاته ، وأقر عيونهم بموالاته ، فرضى عنهم ورضوا عنه (٥ : ٥٤ يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) وأرواحهم بذكره مبتهجة . من عاداهم آذنه الله بحرب . ومن أرادهم بسوء أذاقه النكال والخزى . وثأر لهم من عدوهم ، كما يثأر لأشباله الليث الحرب ، كما ورد فى الحديث المشهور الذى رواه البخارى ومسلم « من آذى لى ولياً فقد آذنته بحرب . الحديث »

(ازالة شبهة)

ظن بعض الغافلين الجاهلين ، الذين حرموا التقوى والولاية ، وقست قلوبهم فعميت بصائرهم عن نور الهدى : أن الأولياء تقرب العباد من الله فيكونون وسطاء عنده لغيرهم ممن ليسوا بأولياء ، ولم يدروا أن اتخاذ الأولياء وسطاء وشفعاء من دون الله هو دين المشركين فى كل زمان . وأن دين الإسلام امتاز بأنه لا وساطة فيه بين العبد وربه ، ولا زلفى إليه تعالى ، إلا بالإيمان والعمل الصالح والتقوى ، كما قال جل شأنه (٢٠ : ٧٥ ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى ٧٦ جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى) (٣٤ : ٣٧ وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا ، وهم فى الغرفات آمنون .) وقال تعالى

(١٠٣ : ١ والعصر ٢ إن الإنسان لفى خسر ٣ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) (٩٨ : ٧ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ٨ جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضى الله عنهم ورضوا عنه ، ذلك لمن خشى ربه)

ولكن قومى ـ هداهم الله ـ تركوا الأعمال الصالحة ، التى تثمر العز والسعادة ، ولها نتائج محسة فى الدنيا والآخرة . وذهبوا يدعون الأولياء ، زاعمين أنهم بهم إلى ربهم يتوسلون . فازدادوا بذلك بعداً ، ولم ينالوا إلا مقتاً وغضباً ، فلم ينفعهم الأولياء بشىء ؛ وسلط الله عليهم من استعمر بلادهم ، وتحكم فى رقابهم وأموالهم ، واستباح منهم وأباح لهم ماحرم الله عليهم ، واعتدى على حرماتهم ، وعدا على دينهم وفعل وما زال يفعل بهم من الأفاعيل ما الموت والله خير من رؤيته والصبر عليه .

والمصيبة كل المصيبة أنهم جهلوا أن سبب هذا كله هو إعراضهم عن الله تعالى ، وإقبالهم على سواه من صور وتماثيل ، وقبور ومقاصير . يسمونها الأولياء ، ويعكفون عليها : داعين مستغيثين مستصرخين ليلا ونهارا وسرا وجهرا ، يفزعون إليها فى الشدة والرخاء ، وفى السراء والضراء ، ويقربون إليها جميع أنواع القرب التى لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى .

وأكبر من ذلك وأدهى وأعظم نكراً أن كثيراً ممن ينتسبون إلى

العلم والاسلام وبعض من يعدون من كبار العلماء ، يحاربون بألسنتهم وأقلامهم كل من ينكر على العوام هذه الأعمال الشركية ، ويعادونه أشد العداء ، ولو استطاعوا إسكاته ما قصروا ، فإنا لله وإنا إليه راجعون

وتراهم يجيزون فى غير حياء ولا خوف من الله ، دعاء الأوليـــاء من دون الله ، ويؤولون للعوام ذلك تأويلات سمجة ، طالما قالها المشركون وما زال يقولها وثنيو الهند وغيرهم فى معبوداتهم ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

وقد تعلقوا بشبهة هى أوهى من بيت العنكبوت . وذلك أنهم قالوا أليس للأولياء جاه عند الله وكرامة ؟ قلنا بلى . قالوا أليسوا أحياء عند ربهم ؟ قلنا بلى . قالوا أليس الله يحبهم ويكرمهم ؟ قلنا بلى . قالوا إذن ، فلماذا لا نتوسل بهم إلى الله ، وندعوهم ، ونطلب منهم ، ونستغيث بهم ! . .

هذه شبهتهم ، والجواب عليها من وجوه

الأول : أن المطلوب منكم أنتم أن تكونوا أولياء بتقوى الله والعمل الصالح ، كل منكم بقدر ما يستطيع (لا يُكَلف الله نفساً إلا وُسعها) فلو لم يفعل العبد إلا ما فرض الله عليه ، ولم ينته إلا عما حرم الله عليه من الكبائر ، لكان وليا لله ، وإذا كان وليا لله لم يحتج إلى غيره من الآخرين ، وإن كانوا أعظم منه ولاية وأعلى درجات . على أنه يجوز أن يتوسل الحى بدعاء أخيه الحى

الثانى : أنه إن لم يكن العبد ولياً مطيعاً لله فإن أوليـاء الله يتبرءون

منه ويكرهونه ، موالاة لله ، ولن يتوسطوا لعدو الله وهم أحباب الله فإن توسطوا له كانوا أعداءاً لله مثله ، وطردوا . وكيف يتوسطون لمن يدعوهم من دون الله فيحولوا بينه وبين مناجاته لربه وتذلله له وهم لم يكونوا أولياء إلا بحبهم مايحب الله ، وبغضهم مايبغض الله تعالى والله يبغض من يدعو سواه ، ويحب من يسأله ويدعوه . ولذا فرض لأحبابه الصلاة ، وأمرهم فى كتابه بالدعاء فيها كثيرا .

الثالث : أنه لايلزم من أن لهم جاهاً عند الله ومحبة وقرباً أن يُدعوا من دونه ويُترك ، وهو الحى القيوم ، الرحمن الرحيم ، الذى يحب من يدعوه ويسأله ـ ولو لزم هذا لفعله الصحابة والتابعون ، وأوصى به الأئمة ، وعقدوا له الأبواب والفصول فى كتبهم ، بل لو جاز هذا لما أهمله الرسول ﷺ ، ولعلمه للصحابة .

ولكن ، كيف يعلمهم هذا ، وهو مبعوث عليه الصلاة والسلام لإرشاد الخلق إلى الله وإفراده بالعبادة ، وإفراد العبادة لايكون إلا بهدم هذه الوساطة الخاطئة والشفاعة الباطلة .

وما كان شرك المشركين إلا التقرب بالأولياء ودعاءهم فى الرخاء من دون الله ، باسم التقرب بهم إلى الله تعالى ، كما قال جل شأنه (٣٩ : ٢ إنَّا أنزلنا إليكَ الكتابَ بالحقِّ ، فاعبُدِ الله مُخلصا له الدين ألا لله الدين الخالصُ ، والَّذين اتخذوا من دونه أولياءَ مانعبدُهم إلاَّ ليقرِّبونَا إلى الله زلفى ، إنَّ الله يحكمُ بينهم فيما هُم فيه يختلفون ، إنَّ الله لايهدى مَن هُوَ كاذبٌ كفارٌ)

وهل جاهد الرسول صلى الله عليه وسلم العرب وغيرهم إلا ليتركوا هذا الشرك ويعبدوا الله مخلصين له الدين ، قال صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ـ الحديث » وهو فى الصحيحين . وهل ناضل المشركون إلا عن عقيدة الوساطة لأولئك الشفعاء بين الخلق وربهم احتجاجا بما كان عليه آباؤهم ، وقال به شيوخهم

الرابع : أن الله تعالى أنكر فى آيات كثيرة اتخاذ الأولياء والشفعاء من دونه فقال : (٤٢ : ٩ أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولى وهو يحيى الموتى وهو على كل شىء قدير) وقال (٣٩ : ٤٤ أم اتخذوا من دون الله شفعاء ، قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون . قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض ، ثم إليه ترجعون) وقال (٤٢ : ٦ والذين اتخذوا من دونه أولياء ، الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل)

الخامس : أن الأولياء وإن كانوا أحياء عند ربهم فإنهم قد ماتوا عندنا وانقطعت صلتهم بالدنيا ، وانقطع تكليفهم وخطابهم بما يخاطب به الأحياء فى الدنيا ، ولا يخاطب ميتاً بغير ما ورد فى الشرع : كالسلام عليكم . إلا معتوه سلب العقل السليم ، أو مشرك استولى عليه سلطان الجهل ، ولا مجال للقياس هنا بحال من الأحوال .

السادس : يقال للداعين لأوليائهم من دون الله باسم التوسل والتقرب أذلك مشروع ، أم غير مشروع ؟ فان كان مشروعا يثاب فاعله ، ويعاقب تاركه ، فهاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ، وإن كان غير مشروع ، ففيم المجادلة ياعباد الله .

السابع : إننا نطالب الداعين غير الله من الأنبياء والأولياء بآيات صريحة من الكتاب والسنة الصحيحة . ولا قِبل لهم بذلك . أما نحن فنقول لهم : قال الله تعالى (١٣ : ١٤ له دعوة الحق ، والذين يدعون من دونه لايستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه ، وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال) (١٠ : ٣٢ فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال ، فأنى تصرفون) وقال (٤٠ : ٦٢ ذالكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فأنى تؤفكون . كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون)

ونقول لهم : قال الله تعالى (٤:١١٧ إن يدعون من دونه إلا إناثاً وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً ، لعنه الله)

ونقول أيضاً : قال الله تعالى (٢٢ : ٦٢ ذلك بأن الله هو الحق وأن مايدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلى الكبير)

الله أكبر ، ما أعظم برهانه ، وأبلغ قرآنه . ولكن القوم لايفهمون القرآن . كما حكى الله عن سلفهم الأولين [٤١ : ٤ فأعرض أكثرهم فهم لايسمعون . وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه وفى آذاننا وقر ، ومن بيننا وبينك حجاب]

فانخاطبهم على قدر عقولهم ، وباللغة التى يمكن أن يفهموها فنقول لهم :

اسمعوا أيها القوم . ألستم تقولون معترفين بأن الله هو الحق — ؟ فسيقولون . بلى . الله هو الحق فنقول : ألستم تعترفون معنا أن الأنبياء

والملائكة والأولياء وسائر المخلوقات من دونه ؟ فسيقولون : بلى فنقول لهم . دعاء الله حق أم باطل ؟ فسيقولون . حق . فنقول لهم . ودعاء غيره ؟ فان قالوا باطل ، فقد اتفقنا . وإلا كانوا معاندين . وقامت عليهم الحجة وبالله التوفيق .

وبعض المشاغبين الجاهلين لايفرقون بين دعاء الله ودعاء غيره والحقيقة أن الدعاء قسمان دعاء عادة ودعاء عبادة فدعاء العادة ليس شركا كما تقول لخادمك ياغلام هاتِ العصا وهات كأس ماء مثلا فإذا قلتَ لشيخ تعتقد فيه القدرةَ على قضاء حاجتك ميتاً أو حياً غائباً أو حاضراً من وراء الأسباب والمسببات فهذا هو الشرك الأكبر وذلك لأن الدعاء عبادة وقد أَمَرَنَا اللهُ بدعائه فى القرآن كثيراً

وكذلك الاستغاثة نوعان عادية كما تستغيث بإنسان يستطيع إغاثتك فهذا جائز ويدل عليه قوله تعالى فى قصة موسى فى سورة القصص (فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه)وأما استغاثة حى بميت أو بحى غير قادر عادة على اغاثةمن يدعوه فهذا شرك . فَتَلَخَّصَ من هذا أن دعاء غير الله فيما لايقدر عليه الا الله شرك والعياذ بالله

الثامن : أن من علامات المشركين ماحكاه الله عنهم فى محكم كتابه « ٣٩ . ٤٥ واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون » وقالوا . « ٣٨ : ٥ أَجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟ إن هذا لشىء عجاب » وكثير ممن يَدَّعون الاسلام وَيَدْعون غير الله ، فيهم هذه العلامة . فتأَمَّلْها . واذا أردت أن تجرب

فتعال إلى مسجد من المساجد ، التي فيها مقصورة وقبر سيد أو سيدة . وقل لهم : ياقوم ، ادعوا الله وحده بأسمائه الحسنى ، وتوبوا مما تصنعون لهؤلاء الموتى من دعاء والتجاء ونذر ، فإنك ستنال من الصفح واللعن ما يكفيك ويكفيك ، ومن ذلك قول الله تعالى :

(وإذا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فى القرآنِ وَحدَهُ ولوا على أدبارهم نفورا) فالحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

اعداء الاسلام وانكارهم

إن أعداء الإسلام فى الدنيا كثيرون ، فمنهم اليهود والنصارى والوثنيون والمشركون والمجوس ، ومنهم الملحدون . وأنكى هؤلاء وأعدائهم وأشدهم نكاية للإسلام ، أولئك الذين قالوا : إنا علماء ، وهم بعد لم يعرفوا معنى شهادة أن لا إله إلا الله ، وشهادة أن محمدا رسول الله ، ولم يكن لهم عقل ولا تفكير ، ولا علم يميزون به بين الإسلام الحق ، والإسلام المزيف ، نشأوا فى بيئة تعظم الأولياء وتوقرهم أكثر من تعظيمهم وتوقيرهم الله تعالى ، فيحلفون به تعالى كاذبين ، ولا يحلفون بأوليائهم إلا صادقين

ينذرون لهم النذور ، ويذبحون الذبائح فى الأعياد ، المعبر عنها بالموالد ، يقربون لهم فيها القرابين ، بإطعام الطعام ، وذبح الذبائح . وبذل الأموال ، تقرباً إليهم بذلك ، ويرون الفواحش والمنكرات تؤتى

فى ساحة تلك الموالد فيقرونها ، ويعتقدون أن هذا الولى الميت سيمحو عقوبتها ، ويمنع الله من الجزاء عليها . ثم ذهبوا إلى مايسمى معاهد العلم والدين ، فوجدوا فيها من الكتب الخرافية مازادهم ضلالا على ضلالهم ، وجعل جهلهم البسيط جهلا مركباً ، وعلمهم الدفاع عن الشرك ، بالكذب على الله ورسوله وتحريف الآيات عن مواضعها ، وتأويلها بغير ماتدل عليه ، وتصحيح الأحاديث الموضوعة وعزوها إلى الرسول الكريم ، عليه الصلاة وأفضل التسليم . وإن أعياهم وجودُ حديث كذّبه سلفهم ، فَمَا أَهْوَنَ مايفترون على الله ورسوله الكذب . فأجازوا دعاء غير الله دعاء العبادة باسم الاسلام . قاتلهم الله أنى يؤفكون .

إن أمثالَ هؤلاء الْمُقَلِّدِينَ الْأغبياء ، الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم ، وجعل على أبصارهم غشاوة من الهوى والعصبية ، أنكى والله للإسلام من المبشرين النصارى واليهود ، ومن الملحدين . لأن هؤلاء كلهم معروفون بنحلهم وعقائدهم ، وعدائهم للإسلام والمسلمين . فاذا دعوا العامى إليهم ، وسمع منهم مايلهجون به دائما من تنقيص الإسلام والطعن فى كتابه ورسوله ، كان منهم على حذر ، فتراه يفر منهم فرار السليم من الأجرب ، خشية ان يخدعوه . وأما أولئك فانهم يدعون العوام المساكين إلى الشرك باسم الإسلام ، يدعونهم إلى عبادة الأصنام والأوثان ، والاعتماد عليها . لايعرفونهم بالله ، ولا يخوفونهم عقابه ، ولايذكرونهم بنعمه ، ولايقبلون بهم عليه ولا

يرشدونهم إلى بابه ، وإن فعلوا فلا بد أن يقرنوا معه فى التبجيل والتعظيم ، والإجلال والتوقير ، تلك القبور والأوثان ، حتى أصبح العامة يقلدونهم فى أعمالهم ويبالغون فى تأديتها على الوجه الذى يظنون أنهم به محسنون ، فتراهم يتمرغون فى الأعتاب ، ويقبلون حلقات الأبواب ، ويمسحون بأيديهم على الأعمدة ، ثم يمسحون بها وجوههم تبركا واستعطافاً .

وقد رأينا لبعض كبار العلماء فى زماننا استغاثات وشكاوى شعرية ونثرية مقدمة للسيد البدوى صنم طنطا بالقطر المصرى وغيره، واذا اردت أن ترى العجب العجاب فاقرأ ماألفه الدكتور الظواهرى فى تاريخ حياة أبيه الذى كان شيخا للأزهر قبل الشيخ مصطفى المراغى .

أما دعواتهم فمما تبرأ منه الأرض والسموات . منها قولهم « سقتك على الله يافلان : أن ينيلنى كذا وكذا » . ومنها « خلى بالك منى يافلان ، انظر إلىّ واشف مريضى يامنجد العُيَّان » فهل بعد هذا كفران وأعظم من هذا بهتان ؟ إنهم يفعلون هذا وأبشع منه ، ولايجدون من بين أولئك المقلدين من يردهم عن هذا الإثم العظيم ، والعدوان الأليم ، فجريمة أولئك العوام معلقة برقاب أولئك الذين أضلوهم السبيل (وَسيعلمُ الذينَ ظلمُوا أىَّ مُنقلَبٍ ينقلِبُونَ) .

«(التوحيدُ الاسلامى)»

«(وغيرُ الإِسلامىِّ)»

التوحيد الذى جاء به الكتاب العزيز قسمان : قسم كان يعترف به مشركو العرب ، ويسمى عند العلماء : توحيد الربوبية . وإذا قلت العلماء ، فإنما أعنى بهم أهل الحديث ، الحفاظ الأعلام المشهورين . كالإمام الشافعى ، وأحمد بن حنبل ، ومالك ، وسفيان الثورى ، وابن عيينة ، وابن مهدى ، والبيهقى ، وشيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه العلامة ابن قيم الجوزية ، وأضرابهم من كل مجتهد غير مُقَلِّدٍ ، من الأئمة المتقدمين والمتأخرين ، من الذين أنار الله بصائرهم بالقرآن الكريم ، وحديث الرسول الأعظم ، ﷺ ، ولم يُقَدِّمُوا عليهما كلام أحد ولا عمله ولم ينتحلوا إلا إليهما .

وذلك كاعترافهم — أى مشركى العرب — بأن الله هو الخالق الرزاق المدبر ، لا شريك له فى ذلك . وقد ذكره الله تعالى فى كتابه العظيم ، فى غير ما آية ، وأقامه حجة عليهم فى كثير من الآيات ، كقوله تعالى (١٠ : ٣١ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يَملك السمع والأبصار ، ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ، ومَن يدبر الأمر ؟ فسيقولون الله . فقل : أفلا تتقون ؟ فذلكم الله ربكم الحق ، فماذا بعد الحق إلا الضلال ، فأنَّى تصرفون) أى أنى تصرفون عن الله الحق إلى دعاء غيره وعبادته ، وهو الباطل الضلال .

ومن الآيات فى هذا القسم قوله تعالى (٢٩ : ٦١ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ، وسخر الشمس والقمر . ليقولن الله ، فأنَّى يؤفكون) وقوله (٢٩ : ٦٣ ولئن سألتهم من نزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله . قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون) ومنها قوله تعالى (٢٧ : ٤٦ ، ٥٩ قل الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، آلله خير أما يشركون . أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماءً فأنبتنا به حدائق ذاتَ بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ، أإله مع الله ؟ بل هم قوم يعدلون . أمن جعل الأرض قراراً ، وجعل خلالها أنهاراً ، وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزاً أإلهٌ مع الله ، بل أكثرهم لا يعلمون . أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ؟ أإله مع الله ؟ قليلا ما تذكرون . أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ؟ ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته ؟ أإله مع الله ؟ تعالى الله عما يشركون . أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ؟ ومن يرزقكم من السماء والأرض ؟ أإله مع الله . قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين)

ألا ترى أنه سبحانه وتعالى بعد ماذكر من صفات ربوبيته التى يعترفون أنه لا شريك له فيها قال لهم (أإله مع الله) أى أمعبود مع الله يستحق العبادة ثم أضرب عن مخاطبتهم لأنهم قوم خصمون . وقال (بل هم قوم يعدلون) أى يعدلون بالله غيره من أوليائهم ، ويسوونها به تعالى فى العبادة ، لا فى الخلق والرزق والتدبير ، التى هى من صفات ربوبيته تعالى

وأما القسم الثانى ، وهو توحيد الالهية فهو الذى سنحدثك عنه ، ونروى قلبك الظامىء منه بحول الله وقوته

«(توحيدُ الإلٰهيةِ)»

توحيد الالهية هو افراد الله بالعبادة ، وهو الذى جاءت به الرسل كلهم عليهم صلوات الله وسلامه . وفيه وقع الخلاف بينهم وبين قومهم ، وانقسم الناس فيه قديما وحديثا الى قسمين ، واختلفوا فريقين فمنهم من آمن ومنهم من كفر(١١ : ١١٨ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) قال تعالى : (١٦ : ٣٦ ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ، فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة) وقد احتوت هذه الجملة على اثبات وهو « اُعبدوا الله » ونفى وهو قوله تعالى (واجتنبوا الطاغوت) وذلك معنى كلمة التوحيد « لا إِلٰه إِلا الله » التى قال فيها ﷺ : « أفضل ما قلته أنا والنبيونَ من قبلى لا إِلٰه إِلَّا الله » والتى قال فيها : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إِلٰه الا الله ، فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها ، وحسابهم على الله » ومثلها فى المعنى ، قوله تعالى (٢ : ٢٥٦ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لاانفصام لها والله سميع عليم) فكلمة التوحيد محتوية على نفى واثبات، نفى عبادة غير الله تعالى ، واثبات العبادة له وحده ، وهذا فى القرآن كثير جدا كقوله

تعالى قل(٣ : ٦٤ يا أهل الكتاب تعالوْا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا . ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابًا من دون الله)

ولقد كان مشركو العرب يعرفون معنى هذه الكلمة الشريفة « لا إله إلا الله » لأنهم أهل اللغة ، ومازال الناس يعرفون معناها ، حتى ضعفت اللغة بدخول كثير من الأعاجم فى الإسلام ، وفشا اللحن ، وتبدلت اللغة ، ومات العلماء ، وكثر القيل والقال ، وضعفت الخلافة حتى استولى عليها وعلى بلادها الأجانب . فجهل الناس معنى كلمة « إله » كما جهلوا غيرها ، وصاروا يفسرون كلمة التوحيد ـ لا إله إلا الله ـ بأنه لا خالق إلا الله ، أو لا موجود إلا الله ، مما لا يمت إلى معناها بسبب ، ولا يزيد عن توحيد المشركين لا بقليل ولا بكثير .

وقد غلط فى معنى هذه الكلمة ، الزمخشرى .وهو من هو فى كتابه المفصل فى باب(لا) كما أنكر رؤية البارى موافقة للمعتزلة قاتلهم الله

المعنى الصحيح لكلمة التوحيد

أما المعنى الصحيح للا إله إلا الله ، فهو لا معبود بحق إلا الله . فان « إله » معناه عند العرب « معبود » وكانوا يسمون كل معبود عندهم بحق أو بباطل إلهاً . وكانوا يصرحون بذلك . فلما دعاهم النبى ﷺ إلى عبادة الله وحده ، ونفى تلك الآلهة الباطلة ، كبر عليهم أن يقولوا كلمة

تؤدى هذا المعنى الحق ، وهو « لا إله[1] إلا الله » وقالوا « أجعلَ الآلهةَ إلها واحداً ؟ إن هذا لشىء عجابٌ » فماذا صنع أهل هذا الزمان ؟ تركوا إطلاق اسم « اله » على أوليائهم لفظا ، فلم يقولوا لولىّ منهم اله ، ولا لهم جميعا آلهة ، هجروا اللفظ فقط ، وأبقوا المعنى بأوسع مما كان عند مشركى العرب ، فألهوا أولياءهم فعلا وقولا بأنواع الإلهية كلها . فدعوها من دون الله ، ونذروا لها ، وذبحوا وتوكلوا ، واستغاثوا ، وتضرعوا وتذللوا وسجدوا على أعتابها وبكوا خشوعا لديها ، وعبدوها خوفا وطمعاً ، ورجاء ومحبة وذكراً وشكراً ،فلا حول ولا قوة الا بالله . وقد قلت فى ذلك نظما ، سيأتى بعد ان شاء الله تعالى

سؤال والزام

سل الذين يجيزون دعاء غير الله ، ويطلبون منهم مالا يقدر عليه إلا الله ، كالبدوى ، والدسوقى ، والسيدة فى مصر ، وعبد القادر الجيلانى وغيره فى الهند والعراق ، والعيدروس وعلوان فى اليمن وحضرموت . وأمثال هؤلاء بالشام والمغرب ، ونحوهم . أخبرونى بالذين تدعونهم أهم الله ، أم هم غير الله ؟ فان قالوا ، هم الله ، فهم كالنصارى الذين قالوا إن المسيح هو الله ، كما قال تعالى فيهم (لَقد كفرَ الذين قالوا إنَّ الله هُو المسيحُ بنُ مريمَ) وكالاتحادية الذين قالوا : لافرق فى الحقيقة بين خالق

(١) راجع لسان العرب فى مادة أله فانك سترى أن لفظ إله كل مايؤله بحق أو بباطل

ومخلوق . وهذا المذهب الخبيث هو الذى عُبدت به المخلوقات ، وهـو مذهب ابن عربى وابن الفارض وأضرابهما ، وأخذوه عن وثنيي الهند وضلوا به ضلالا بعيدا ، وأضلوا كثيراً من الناس .

وإن قالوا : إن من ندعوهم من الأولياء لاشك أنهم غـير الله ، فقل لهم : وهل هم دون الله أم لا ؟ فلا بد أن يقولوا : إنهم دون الله ، فقل لهم . والملائكة والأنبياء دون الله أم لا ؟ فسيقولون . كلهم دون الله فإذا اعترفوا بذلك ولا بد ، فقل لهم . إذن فاسمعوا ، قال الله تعالى (٤٦ : ٥ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لايستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون) فثبت أنهم أضل خلق الله .

فان زعم جاهل فقال : إن من ندعوهم يستجيبون ، والذين جاءت الآية فيهم ، كانوا يدعون من لايستجيب لهم ، من أوثان وأصنام ، فقل له وكذلك الذين تدعونهم لايستجيبون ، كالبدوى والدسوقى ، والسيدة فلانة والسيد فلان ، ولا أحد منكم ولا من غيركم يسمع استجابتهم إذا دعوا ، كما يستجيب الحى فيما يقدر عليه . والأوثان والأصنام ما كانت عند العرب مجرد أحجار وأخشاب يقيمونها ويدعونها . بل كانوا يصورون صور الصالحين . كما تتخذون أنتم المقاصير وتجعلون عليها العمائم ونحوها ، وكما تصورون أنتم صورة السيدة زينب ، والسيد الحسين ، رضى الله عنهما والبدوى ، والدسوقى وغيرهم ، مما لايحصى عددهم إلا الله تعالى وتدعونها ومنهم من كانوا صالحين ، ومنهم من ليسوا صالحين إلا فى زعمكم أنتم ،

وربما كانوا عند الله من الخاسرين . فإن قال قائل . إنهم لم يصوروا ، ولكنهم كسوا الأخشاب والأحجار فقط . قلنا : يكفى فى التصوير أنهم جعلوا لذكران أوليائهم رءوسا وعمموها ، وجعلوا للإناث صورة تدل على أنها أنثى .

رد شبهة اخرى

فان قالوا . أليس للأنبياء والأولياء جاه عند الله ، وذكروا لك مثل الذى ذكره أحدهم ؛ فى رسالة ظهرت بمصر أخيراً (١)

فقل لهم . نعم ؛ ولكن وجاهتهم وقربهم من الله تعالى ؛ لم يجعلها الله وسيلة يقرب بها غيرهم اليه . فهذا نوح عليه السلام ؛ لم يقرب ولده ولا امرأته ؛ ولم ينجهما من الغرق . وهذا لوط لم ينج امرأته من الهلاك وقد قال الله فيهما (٦٦ : ١٠ ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين)

وإبراهيم خليل الله لم يغن عن أبيه شيئا . ونبينا محمد ﷺ لم يغن عن أبى طالب شيئا . قال تعالى (٩ : ١١٣ ما كان للنبي والذين آمنوا

---

(١) يشير المؤلف إلى كتاب اسمه « غوث العباد » للشيخ مصطفى أبى سيف الحمامى إمام وخطيب مسجد السيدة زينب رضى الله عنها « الناشر »

أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم . وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه . فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم) وقال الله تعالى فى نوح وابنه (١١ : ٤٢ ونادى نوح ابنه وكان فى معزل : يا بُنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين . قال سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم . وحال بينهما الموج فكان من المغرقين) إلى أن قال (ونادى نوح ربه فقال : رب إن ابنى من أهلى وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين . قال يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح ، فلا تسألن ماليس لك به علم ، إنى أعظك أن تكون من الجاهلين . قال رب إنى أعوذ بك أن أسألك ماليس لى به علم وإلا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين)

والسر فى هذا والحكمة ، استئصال جذور الشرك حتى لا يكون لمشرك حجة ، ولا يكون لعبد اتكال إلا على الله وحده ، ولا يكون له وسيلة من أب ذى جاه ، أو قريب مقرب ، إلا بالايمان والعمل الصالح — كما قال تعالى :

(٣٤ : ٣٧ وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً ، فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون)

وكما قال النبى ﷺ : « يا فاطمة بنت محمد ، لن أغنى عنك من الله شيئاً — الحديث »

شبهة اخرى

يحتج كثير من الجهلة بالاجماع ، فان كان المراد اجماع الصحابة فلا سبيل لهم إليه ، وإن كان إجماع المسلمين فى هذا العصر ، فلا تقوم به حجة ، فان المسلمين اليوم محكومون وقد أبيح بينهم الزنا والخمر وكل ماحرم الله حتى الشرك ومخالفة نصوص القرآن والسنة فلا إجماع لهؤلاء ولا يعتد بإسلامهم فضلا عن إجماعهم على أننا لا نكفر مسلما ولله الحمد ، وهذا كاحتجاج الجهلة بأكثرية الناس وقد قال تعالى (وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله)

وعود الله تعالى والايمان والعمل الصالح

وعود الله تعالى برضوانه أو بالجنة ونعيمها ، وطيب الحياة فى الدنيا والآخرة ، كلها معلقة بالايمان والعمل الصالح ، قال تعالى (٢٤ : ٥٥ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) وقال تعالى (إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيي ، ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى . جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى) وقال جل شأنه (٤ : ١٧٣ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله)

وفى القرآن كثير مثل هذا فاطلبه وتدبره

ولا يلتبس عليك الأمر إذا رأيت بعض الوعود معلقاً بالتقوى كقوله تعالى : (٦٥ : ٢ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب) وكقوله (٦٥ : ٤ ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً) وقوله (٦٨ : ٣٤ إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم) ونحو ذلك من الآيات كقوله تعالى : (٨٢ : ١٣ إن الأبرار لفى نعيم) وقوله : (٧٦ : ٥ إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً)

فان التقوى اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه ، والإيمان والعمل الصالح يحبه الله ويرضاه ، فلا منافاة ولا خلاف ولله الحمد .

والأبرار هم المؤمنون المتقون ، المطيعون لله ورسوله . وكما يسمى المؤمنون فى القرآن بالمتقين والخاشعين والأبرار وأصحاب اليمين ، ونحو ذلك ، كذلك يسمى الكافرون بالفجار والفاسقين والمجرمين .

ومن سنة القرآن أنه يذكر فريق المؤمنين وصفاتهم ويعقبها بوعده الحسن ويذكر الفريق الآخر وصفاتهم ويعقبه بما أعد لهم من العذاب المهين

فتأمل ذلك فى الكتاب العزيز ، يطلعك على أسرار لايفقهها إلا من أراد الله له الخير . قال تعالى (٨٢ : ١٣ إن الأبرار لفى نعيم ، وإن الفجار لفى جحيم ، يصلونها يوم الدين . وما هم عنها بغائبين) ومن الآيات الطوال فى ذلك ، قوله تعالى (١٣ : ١٩ أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى ؟ إنما يتذكر أولو الألباب . الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق . والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم

ويخافون سوء الحساب . والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ، ويدرءون بالحسنة السيئة ، أولئك لهم عقبى الدار ، جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ، والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض ، أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار)

هل تشييد القبور واسراجها

؟ ((وبناء القبب عليها من دين الاسلام)) ؟

كلا ثم كلا . ليس تشييد القبور ، وإسراجها ، وبناء القبب عليها من دين الاسلام فى شيء ، وكذلك التمسح بها ، والطواف حولها ، واستلام شيء منها ، وتبخيرها ، ووقوف السدنة « الخدام » عندها ، وكسوة الضريح ، وعمل رأس معمم عليه يمثل رجلا ، وعمل شاش وشبه برقع على ضريح امرأة ، لتعرف أنها أنثى ، وتسمية المزارات مقامات ، وشد الرحال اليها ، والنذر لها ، والكتابة لها ، والاستغاثة بها ، كل ذلك ليس من دين الاسلام فى شيء ، بل قد جاءت الأحاديث الصحيحة بلعن فاعليها وبأنهم أضل خلق الله .

راجع البخارى ومسلم وكتب الفقه والزواجر لابن حجر ، تجد

الأحاديث الصحيحة ، مصرحة بلعن المتخـذين على القبـور المساجـد والسرج — واقرأ كتب السنة ، تركيفية زيارة القبور الشرعية ، وكيف كانت القبور فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . فان هذه رسالة مختصرة ، أردت التنبيه فيها على رءوس المسائل ، وبيان بعض الشبهات . وفى القرآن والسنة مايشفى ويكفى .... فـا أمر الله به ورسوله فافعـله خالصا لوجه الله ، ومانهى عنه الله ورسوله فاجتنبه . ومن قال لك مجادلا : إن هذا بدعة حسنة ، فلا تصدقه . واعلم أن الله قد أكمل دينه . فقال : (٥ : ٣ اليوم أكملت لـكم دينـكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لـكم الاسلام دينا) وقال رسوله ﷺ « من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد » رواه مسلم عن عائشة رضى الله عنها

ومن ادعى شيئا فطالبه بدليله من الـكتاب والسنة . واعلم أنه لاقياس مع نص . وأن المقلد تقليداً أعمى بعيد عن الحق والهـدى ، وأكـثر أهل هذا الزمان مقلدون ، إلا من شاء الله .

إذ القياس لا يجـوز إلا لمجتهد . والعلماء مقلدون باعترافهم . وقد سدوا على أنفسهم باب الاجتهاد من عصر الأئمة فى زعمهم

زيارة القبور والنهى عنها

والأمر بها وكـيفيتها

لما كانت زيارة القبور والغلو فيها أصل الوثنيـة نهى عنها الرسول

ﷺ أول الأمر فلما استتب الاسلام وعرفه الناس أمر بها عليه الصلاة والسلام وقال كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها . وبيّن علة الزيارة وحكمتها فقال فانها تذكركم الموت وتزهد فى الدنيا .

ولم يكن للاولياء زياره خاصة ولا قبور مشرفة مرتفعة متميزة عن سائر القبور وذلك أن كل مسلم صحيح الاسلام فهو ولى لله وغيره عدو لله لايزار . فلما نشأ فى الاسلام من لايعرف الفرق بينه وبين الشرك التبس عليهم الأمر فوقعوا فى الشرك وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

رد شبهة اخرى

((وبيان بعض قياساتهم الباطلة))

يزعم بعض المتعالمين كالعوام ، أن التوسط إلى الله بالأولياء جائز ، قياسا على أن من أراد الدخول الى ملك أو أمير ، لابد أن يتوسط للدخول عليه ببعض المقربين اليه . هذه الشبهة الدنيئة ، والقياس الشركى مردودان من وجوه :

الأول — أنه لايجوز قياس الخالق على المخلوق ، ولا العكس

ثانيا — أنه لايجوز ضرب مثل لله بالخلق : قال تعالى (١٦ : ٧٤ فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لاتعلمون)

ثالثا — أن الله تعالى يعلم أحوال عباده ولا يخفى عليه من أمرهم شىء ، والملوك والأمراء ، لايعرفون ولا يعلمون من أمر رعيتهم شيئا إلا بالوسائط

رابعاً — أن الملوك والأمراء ، قد يحتجبون عن رعاياهم لأمور كثيرة لامحل لذكرها ، وهى لاتخفى على عاقل ، منها : الخوف على أنفسهم من الأشرار ، وكثرة ماقد يعالجون من الأعمال والشؤون العامة والخاصة . ومنها الاشتغال باللهو ، والخوف من كثرة إنهاء الشكوى إليهم . وسؤالهم العطايا ، ونحو ذلك .

خامساً — أنهم أقاموا على أبوابهم حجابا . والله منزه عن كل ذلك .

سادساً — أنهم ضربوا لله أسوأ الأمثال ، مع أنهم لو مثلوه جل وعلا بعمر بن الخطاب ، العادل الذى لم يكن رضى الله عنه كأولئك الملوك يحتجب عن رعيته ، حتى يتوسطوا إليه بمن يدخلهم عليه ويقربهم إليه . لكانوا معتدين على مقام الإله ، المنزه عن الشبيه والمثيل ، فلعنة الله على الكافرين ما أجهلهم بالله وأضلهم عن سبيله ، (٢٢ : ٧٤ ماقدروا الله حق قدره ، إن الله لقوى عزيز) فانه (٤٢ : ١١ ليس كمثله شىء وهو السميع البصير)

توحيد الاسماء والصفات

لايدخل الجنة إلا من حقق ثلاثة أنواع التوحيد : « توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات »

وقد ذكرنا توحيد الربوبية والالهية ، وأشبعنا القول فيهما بقدر ماتسعه هذه العجالة . والآن نحدثك عن توحيد الأسماء والصفات .

وخلاصة القول فيه : أن تثبت لله تعالى كل ما أثبته لنفسه فى كتابه

أو ثبت الخبر به عن نبيه صلى الله عليه وسلم . وتنفى عنه كذلك كل مانفاه هو أو رسوله . لاتزيد ولا تنقص .

فمثلا : أثبت الله تعالى لنفسه وجهاً ويداً . ومن الأفعال استواء على العرش . ونزولا إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير . يقول : « هل من سائل فأعطيه ؟ هل من داع فأستجيب له ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ هل من كذا ، هل من كذا ؟ الحديث » فعليك أن تؤمن بذلك معتقداً أن الله تعالى ليس كمثله شيء فى أسمائه وصفاته الذاتية ، والفعلية . فتقول : نؤمن بأن له يداً ليست كأيدينا . ووجها ليس كوجهنا ، وأنه ينزل ويستوى . لكن يفعل ذلك كما يشاء . ليس نزوله كنزولنا . ولا استواؤه كاستوائنا . وهلم جرا . فى الضحك وغيره من الصفات .

هذا ما كان عليه السلف . فلا يؤوّلون . ولا يشبهون . ولا ينفون ، ولا يمثلون . وترى ذلك مشروحا فيما ألفوه من كتب ورسائل . كالإمام عثمان بن سعيد الدارمى . والإمام أحمد بن حنبل . والإمام الأشعرى . وقد أشبع القول فى هذا ودحض شبه المحرفين الجاهلين . الإمامان الجليلان : شيخ الإسلام ابن تيمية . وتلميذه العلامة ابن القيم . فارجع إليه إن شئت التوسع والإفاضة .

وأول خلاف فى التوحيد وقع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه : الخلاف فى توحيد الأسماء والصفات . وكان أشده فى زمن جهم الخبيث . وتلميذه الجعد بن درهم ، وشيعتهما فى القرن الثانى والثالث . ثم وقع الخلاف فى توحيد الإلهية . . وكان أشده بعد القرن

الرابع حيث اشتغل المسلمون بقتال الأفرنج . ومات أهل العلم . وكثر المبتدعون وأصحاب الطرق الضالون .

فاحذر أن تقع فى فخاخ هؤلاء الجهمية الذين ينفون صفات الله . يزعمون أن الإثبات يقتضى التجسيم . فأولوا تارة الآيات والأحاديث تأويلا يخالف اللغة والأدب والشرع والعقل . ونفوا تارة أخرى . طلباً للتنزيه فى زعمهم . وقد وقعوا فيما فروا منه . وهكذا التقليد الأعمى . وضعف البصيرة . وعدم الرسوخ فى العلم يوقع فى الضلال المبين . من حيث لايشعرون .

ومن أراد تفصيل ما أجملته هنا . فعليه بقراءة الإبانة للإمام الأشعرى ، وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية ، وابن قيم الجوزية ، ورد الدارمى على المريسى .

وإلى هنا انتهت رسالتى (حياة القلوب) ويليها زيادات نافعة . ثم بعد ذلك قصيدتى النونية ، التى وعدت بها فى صدر الرسالة ، أسأله تعالى أن يجعل عملى خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به المسلمين ، وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى ، وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين

تمت فى جمادى الثانية سنة ١٣٥٢ هجرية بمكة المكرمة

وفى هذه السنة فى ١٢ ربيع الأول فتحنا مدرسة دار الحديث

وفى مثل هذا الشهر واليوم ولد رسول الله ﷺ

المسخ من عقوبات الله تعالى

لقد مسخ الله من اليهود قردة وخنازير لما عصوه وخالفوا أوامره قال تعالى (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله ؟ من لعنه الله وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ، أولئك شر مكانا) الآية

والمسخ يكون ماديا صوريا ومعنويا وقد وقع الأمران لليهود جزاء عصيانهم ، والمسخ تغيير صورة الممسوخ ، وأشده مايكون فى النفوس وهو واقع اليوم بكثير من المسلمين ، وعلامته أنك ترى الفضيلة عندهم رذيلة والسنة بدعة وبالعكس ، والشرك عندهم توسل إلى الله ، وتبرج النساء رقى وتقدم وحضارة وحرية ولا حول ولا قوة إلا بالله

ماهو الاسلام الحق والاسلام المزيف

الاسلام هو الذى جاء به الرسول المعصوم خاتم النبيين محمد ﷺ ومعناه الانقياد ظاهرا وباطنا لله تعالى وقد قال النبى ﷺ فى حديث جبريل المروى فى الصحاح وقد سأله وهو فى صورة رجل من البشر : ماهو الاسلام ؟ فقال ﷺ « أن تشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ثم سأله ما الايمان ؟ فقال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره »

ثم سأله ماالاحسان ؟ قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » ثم سأله عن الساعة ؟ فقال له ما المسئول عنها بأعلم من السائل » الحديث فترى النبي ﷺ عرّف الاسلام بما يبنى عليه من عقيدة وأعمال، أما العقيدة فهى شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأما الأعمال فاقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت الخ

هذا تعريف النبي ﷺ ، وفى حديث عبد الله بن عمر فى الصحيحين عن النبي ﷺ « بنى الاسلام على خمس شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله » إلخ .

وقد وردت أحاديث أخرى تدل على حسن الأدب ومكارم الأخلاق فى تعريف المسلم كقوله عليه الصلاة والسلام « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده »

وقد سمى النبي ﷺ هذه الخمسة أركان دينا فى الحديث إذ قال« هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم» يعنى بهذه الأسئلة التى سألنى إياها وأجبته عنها وأنتم تسمعون

وقد عرّفه الفقهاء بتعريف آخر فقالوا الاسلام هو الانقياد الظاهرى لما جاء به النبي ﷺ وهذا تعريف صحيح أيضا ولا يتنافى مع تعريف الحديث الأول فان الاسلام فى القرآن يطلق ويراد به الانقياد ظاهرا وباطنا .

وفى قوله تعالى (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره

عند ربه) الآية وفى قوله تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبـل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) ويطلق ويراد بـه الانقياد الظاهرى فقط كما فى قوله تعالى (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولـكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم)

وقال الامام محمد بن اسماعيل البخارى رضى الله عنه (باب إذا لم يكن الاسلام على الحقيقة وكان على الاستسلام أو الخوف من القتـل) لقوله تعالى(قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولـكن قولوا أسلمنا ـ الآية ، فاذا كان على الحقيقة فهو على قوله جل ذكره (إن الدين عند الله الاسلام) (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه)

وسـاق البخارى حديثا بسنده إلى عامر بن سعد بن أبى وقاص عن سعد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ أعطى رهطا وسعد جالس فترك رسول الله ﷺ رجلا هو أعجبهم إلىَّ فقلت يارسول الله مالك عن فلان فوالله انى لأراه مؤمنا فقال «أوْ مسلما» فسكتُّ قليلا ثم غلبنى ماأعلم منه فعدت لمقالتى وعاد رسول الله ﷺ ثم قال ياسعد إنى لأعطى الرجل وغيره أحب إلىَّ منه خشية أن يكبه الله فى النار .

ففهم من هذا الحديث من قوله ﷺ يرد به على سعد (أو مسلما) أن الاسلام أمر ظاهر يمكن أن يشهد به الانسان لآخـر يأتى بالأعمال الاسلاميه الظاهرة كالصلاة والزكاة والحج مثلا ، وأما الايمان فهو متعلق بالأعمال القلبية ولا يعلمه إلا الله ولذلك النبى ﷺ أضرب عن قول سعد

وشهادته بالايمان للرجل بحرف (أو) وهى للاضراب فكأنه يقول له قل مسلما ولا تقل مؤمنا ، فان الايمان أمر باطنى لا يعلمه إلا الله ، وهذا تأديب من النبى ﷺ لسعد ولغيره من الأمة والله الموفق .

الاسلام والمسلمون اليوم

وإنك إذا أردت أن تزن المسلمين اليوم على ميزان الإسلام بمعنى الاستسلام والانقياد الظاهرى لم تجد أكثر المنتسبين إليه متمسكين به لا ظاهراً ولا باطناً فأكثرهم تاركون للصلاة ، مانعون للزكاة ، مفطرون فى رمضان ، مستهترون بشرائعه . فهؤلاء كما قال الإمام الشيخ محمد عبده رحمه الله : مسلمون جغرافيون . أى أنهم إذا عدوا أهل قطر عدوهم مسلمين والإسلام يبرأ منهم

فاذا أردنا وزن المسلمين المصلين — وهم قليل بالنسبة للأولين — على الاسلام الحق الذى يرضاه الله ولا يرضى سواه لم تجد إلا نسبة ضئيلة ربما كان واحداً فى الألف أو أقل ، هذا فى الأفراد . فأما فى الحكومات التى تنتسب إلى الإسلام رسمياً فلا تجد واحدة تقيم شعائره وتتمسك بشرائعه كما ينبغى . ولذلك عاملهم الله بما يستحقون كما قال تعالى (وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون)

هل يعود للمسلمين عزهم ومجدهم
الذى كان لأسلافهم؟

نعم إذا رجعوا إلى دينهم وتمسكوا بهدى نبيهم . والدليل على ذلك قول الله تعالى (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم) وقوله تعالى (فلولا قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا) الآية . وقوله تعالى (إن الله لايغيّر ما بقوم حتى يغيّروا مابأنفسهم) وقال تعالى (قل للذين كفروا إن ينتهوا يُغفر لهم ماقد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين)

ولقد فتح جل وعلا أبواب التوبة للتائبين فى غير ماآية قال تعالى (إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما)

وقد وعد جل وعلا المؤمنين والمستغفرين بما تقر به أعينهم وتسر به نفوسهم لو أطاعوه وعبدوه قال تعالى (وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسناً ويؤت كل ذى فضل فضله وإن تولّوا فانى أخاف عليكم عذاب يوم كبير) إلى مثلها من الآيات وهى كثيرة فى القرآن . وقال تعالى (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون)

وهذه الآيات تتلو علينا سنناً كونية لاتبديل لها ولا تحويل ولكن أكثر الناس لايفقهون ولا يعتبرون

ومن المصائب الكبرى أن أكثر المتدينين المنتسبين للإسلام تراهم مابين عوام جهلة دينهم تقليد آبائهم لايفرقون بين سنة وبدعة ولا حق وباطل أو متعلمين فى المدارس المدنية الدنيوية ولكنهم كالعوام فى عقائدهم وخرافاتهم .فاذا أردت إرشادهم إلى الحق وتنويرهم بالأدلة القرآنية والأحاذيث النبوية وأيدت ذلك بالمعقولات لم يزدادوا إلا ضلالا ونفورا إلا من أراد الله هدايته وشرح صدره وهم أقل من القليل — على أن هؤلاء المتعلمين منهم الملحدون الذين لايؤمنون إلا بالدنيا، والمتدينون منهم عوام فى الدين مقلدون لايفقهون .

المسلمون ومخالفتهم للاسلام

أمر الله تعالى بالاتحاد والاعتصام بحبله فى كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ قال تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا الآية) فبدّل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم إذ أصبحوا احزابا وشيعا وطرائق قددا .

نهى الله تعالى عن التفرق فى آيات كثيرة كقوله تعالى (ولاتكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون)

ففى العقائد مثلا ترى أشعرية ومعتزلة وماتوريدية وسنية وشيعة وجهمية وغيرذلك مما لايحصيهم إلا الله (راجع مقالات أبى الحسن الأشعرى المطبوع فى اصطمبول) ثم لم يكفهم هذا التفرق فى العقائد

حتى تفرقوا فى المذاهب الفقهية شافعية ومالكية وحنبلية وحنفية وزيدية وغير ذلك ، ثم اختلفوا فى الطرق الصوفية فمنهم شاذلية وخلوتية ونقشبندية ورفاعية وأحمدية وتيجانية ووو إلخ مالا يعلم عددها إلا الله ، وهذه الطرق الصوفية والمذاهب الفقهية ينبذها الاسلام ولا يعرفها وقد برّأ الله رسوله ﷺ منها كلها إذ قال (إن الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء) ولم يقف الأمر إلى هذا الحد بل اختلفوا فى السياسة .

فاتحاد المسلمين والعمل على الاتحاد هو أول خطوة يخطونها فى طريق العز والمجد والسؤدد ولكن كيف يتحدون والعقائد مختلفة والجهل سائد !

الجواب سهل وهو الرجوع إلى بساطة الاسلام وأركانه الخمس وفهم أول ركن منها وهو شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وفهم هذا الركن والعمل على اقامته يقتضى أمورا ثلاثة (الأول) أن يعبد الله وحده (والثانى) ألا يعبد إلا بما شرع (والثالث) إخلاص العبادة له وحده

يجب على كل مسلم أن يفهم معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن نحكّم القرآن الكريم والسنة المحمدية فى كل أمر من أمورنا ، وأن يكون للمسلمين مجلس شورى يراعى أعضاؤه تحكيم القرآن والسنة فيما يقع فيه خلاف.

وأن من أولى الأمور الاهتمام باقامة هذا الركن وإزالة كل ما يناقضه وينافيه أعنى بالركن « شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله »

فإذا رضى المسلمون بذلك وتعاونوا عليه مع خلعهم ربقة التقليد وإحلالهم عاداتنا الشرقية العربية وما لا يتنافى والدين من المدنية الغربية فبشرهم بالاستقلال والعز والسؤدد وإلا ظلوا كذلك مستعبدين معذبين تحت نير الذل مدى الحياة ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون

الاسلام وما يأمر به من العلوم الكونية

والفنون العمرانية والاجتماعية

الإسلام يحث على النظر فى ملكوت السموات والأرض ـ قال تعالى (أوَلم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء) فيدخل فى ذلك جميع العلوم السماوية والأرضية وقال تعالى (الله الذى سخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعاً منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) ومقتضى هذا أن نباشر العمل فيما سخره لنا ربنا ونفكر فى كيفية تسخيره وألا يكون أحد أسبق منا إليه بإيماننا بربنا وكتابه ورسوله

الإسلام يأمرنا بالعمل فى غير ما آية من كتابه وجعل السعادة فى الدنيا والآخرة متوقفة على الأعمال الصالحة. فمن ذا الذى يزعم بعد ذلك أن الاسلام أخّر أهله وهم هم المتأخرون؟ ومن الذى يتهم الاسلام بما يتهمه به أعداؤه الملحدون وأشباههم، وكتابه يكذب أولئك المفترين

الإسلام يأمر بجهاد أعدائه من الخارجين على مبادىء الإنسانية الكاملة فيقول كتابه العزيز (وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله وعدوّكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم، الله

يعلمهم) ثم حثّ على الانفاق فى سبيل الله وهو سبيله فقال (وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوفّ إليكم وأنتم لاتظلمون) ومن أصدق من الله قيلا

الاسلام يأمر بكل فضيلة وينهى عن كل رذيلة، يأمر بكل نافع وينهى عن كل ضار ، يأمر بصلة الأرحام وإطعام الطعام وبذل السلام ، والصدق والوفاء والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وحفظ الأمانة ، وغير ذلك من الآداب والأخلاق التى لاتجدها فى أسفار فلاسفة ولا حكماء

الاسلام يأمر بالسلام ويدعو إليه والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم) (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله . ياأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدوّ مبين)

الاسلام يأمر بعزة النفس وينهى عن سؤال الناس يقول رسول الله ﷺ « لأن يأخذ أحدكم حبله على غاربه فيحتطب فيكف نفسه خير من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » ويقول « اليد العليا خير من اليد السفلى » وما زال المصطفى ﷺ ينهى عن السؤال حتى كان الصحابة إذا سقط من أحدهم سوطه لايقول لأحد ناولنيه ، ولقد كان أحدهم ليربط على بطنه الحجر من الجوع كأبى هريرة وما يسأل أحداً شيئاً

الاسلام والمراة

الاسلام صان المرأة صيانة ورحمها رحمة وراعى حقوقها رعاية لاتوجد

فى أسفار الأولين ولا كتب المؤلفين ولا شرائع السالفين ، واحترمها أماً وأختاً وبنتاً

فأبى أولو الشهوات إلا أن يخرجوها من خدرها ويكلفوها بغير ما كلفتها به الفطرة واستباحوها لشهواتهم واستغلوا أنوثتها فى حظوظهم الشهوانية البهيمية قاتلهم الله

فجاء هؤلاء الماكرون الشياطين وزينوا لها الخروج من خدرها زاعمين أنه السجن المؤبد والحبس المخلد فأطاعتهم واغترت بكلامهم المعسول المسموم فلم تجن من وراء ذلك إلا الشقاء والمقت وضياع أثمن شيء كانت تعتز به ، وهذه الحوادث والمآسى التى تنشرها الصحف أكبر دليل وأعظم عبرة ولكن أين من يعتبر . الأفرنج يسخرونها فى الأعمال الشاقة لقاء أجر ضئيل ، وجدير بمن يمشى بغير نور من ربه وهدى من كتابه أن يجمع بين المتناقضات ويلقى كل شقاء ويرتطم فى صخور الضلالات ويتعثر فى أذيال الخيبة ومن يضلل الله فما له من هاد

الإسلام دين العفاف والفضيلة والمشورة والسلام والمروءة والأخوة الإنسانية العالمية ، لسنا نقول ذلك جزافاً بغير دليل ولا سلطان مبين ، بل آيات القرآن أمامكم وسنة المصطفى ﷺ تدعوكم لعلكم تتفكرون

ألم يحرّم الزنا والخمر وأكل الربا وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات ؟ ألم يرغب فى عمل الخير والبر وإغاثة الملهوف وتفريج كرب المكروب وإقراض المحتاج بلا ربا وقضاء حاجات الناس ابتغاء وجه الله فيضاعفه

الحسنة بعشر أمثالها إلى مائة ضعف ، الم يأمر بالسخاء والكرم وينه عن الاسراف والتبذير ، فأين هذا من اللؤم والرشا وغير ذلك من الأمور التى تأباها الانسانية .

إن الناس إن لم يرجعوا إلى الاسلام فسيظلون أشقياء تعساء إلى يوم الممات بل إلى مالا نهاية له .

الاسلام يأمر بعبادة الله وحده واتباع أحكامه هو دون أحكام خلقه الجهلاء بالحكمة والرحمة ، إن أولى من تحق له العبادة من خلقه هو الذى خلقهم

الاسلام نظام اجتماعى خلقى أدبى إنسانى فمن لم يدخل فيه فهو همجى بهيمى فمن لم يدخل فى نظام الاسلام ويرض بعبادة الله الذى خلق الخلق وعلم مصالحهم وماينفعهم ويضرهم فى دنياهم وآخرتهم ورزقهم وأنعم عليهم بنعمه التى لاتعد ولاتحصى (وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها) فهو بهيم ومن استكبر على عبادة ربه فهو أشقى الأشقياء ، ولقد أمر رسوله أن يأمر أهله بالصلاة فقال (واءمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى)

إن التحاكم إلى قوانين الخلق دون قانون الرب جل وعلا إنما هو التحاكم إلى الطاغوت وقد أمرنا أن نكفر به .

فانظر كيف مسخ الناس فأصبحوا يعظمون هـــذا الطاغوت ويتحاكمون اليه ويعنون بدراسته ليتخرج فيه القضاة والمحامون والحكام

وهم الذين بأيديهم أزمة الأمور، وأما القرآن فقد جعلوه للقراءة على الأموات وفى المآتم والولائم وقلما ينصت إليه أحد ـ أليس هذا مسخا نزل بالناس

إن الله تعالى كرم الانسان وسخر له كل شيء وقال له اعبدنى وتوكل عليّ فأبى الانسان إلا أن يعبد الطواغيت ويدنس نفسه وينحط إلى أسفل سافلين، يقول تعالى (وماخلقت الجن والانس إلا ليعبدون . ماأريد منهم من رزق وماأريد أن يطعمون . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) وقد عقبها بقوله (فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم فلايستعجلون فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون) يعنى جزاء مثل جزاء أصحابهم فى الجرائم والخروج عن نظامه وطاعته

فهذا تهديد ووعيد أكيد للذين تركوا عبادة ربهم وظلموا أنفسهم بترك عبادته والتكبر عليه واغتروا بستره عليهم وحلمه واستدراجه وإمهاله .

الاسلام وشهادة ان لا اله الا الله

وأن محمداً رسول الله

لقد كان أول ركن للاسلام وأول باب يلج منه المسلم الى هذا الدين الحنيف هذه الشهادة ، ولقد سعد بها من فهمها وعرف معناها وانقاد لما دلّت عليه من توحيد الله وطاعة رسوله

إذ معنى أشهد أعترف وأذعن وأقرّ عن عقيدة إقراراً لايخالجه

شك ولا يحل بساحته تردد . ألا معبود يستحق العبادة إلا الله ، فأصبح هذا الاقرار عهداً على المعترف به لاينقضه بقول ولا عمل

ومعنى « وأشهد أن محمداً رسول الله » أى أعترف وأقرّ أن محمدا رسول الله تعالى أرسله معلما للناس ومبيناً لهم مانزل إليهم من أوامر ونواهى .

عمل الناس بهاتين الشهادتين زمناً كانوا فيه أعز الناس ، فلما ذهب الصحابة والتابعون وأهل القرون الأولى وخلف من بعدهم خلف جهلوا معناهما وتناسوهما وأصبحنا فى زمن ينطق بهما الكثيرون بألسنتهم ويخالفون معناها بأعمالهم بل وأقوالهم لجهلهم ، فتراهم ألّهوا غير الله بدعاء وطواف ونذر وسجود واعتقاد أن ذلك الغير أو الأغيار يقدرون على إجابة دعائهم ونصرهم فى الملمات وتفريج الكربات ، فكانوا فى ذلك كالذى توضأ ثم ضرط ولم يدر أنه انتقض وضوؤه ولا بد من إعادته وإلا فصلاته باطلة

هكذا ترى أكثر المسلمين اليوم على عقائد باطلة زائفة بالرغم من وجود القرآن بينهم وكثرة المرشدين لهم . وأما نقضهم شهادة أن محمداً رسول الله فهم لايعملون بسنته وإن كانت أوضح من الشمس رأد[1] الضحى ويعملون بضدهاويقدمون البدع عليها لا لفهم إياها تقليداً لآبائهم ومشايخهم

---

(١) أى وقت

الاسلام والقدر والقضاء

تكلم كثير من الناس فى هذه المسألة حتى الذين لا يحسنون التكلم فى مثلها من المسائل الإسلامية ، وقد نهى النبى ﷺ عن التكلم فيها إذ قال ﷺ « إذا ذكر القدر فأمسكوا » . وسئل ﷺ : إذا كان كل شىء قد فرغ منه ففيم العمل ـ أو نحو ذلك ـ فقال ﷺ « اعملوا فكل ميَسر لِما خلق له »

والقدر شأن من شئون الله ليس للخلق فيه تدخل ، وهو دالّ على كمال الله وتمام قدرته وعدله وحكمته ورحمته

وذلك أن الله تعالى قبل أن يخلق الأشياء بآلاف السنين قدَّرها تقديراً : كيفية وكمية ، وقدَّر أزمنتها التى تقع فيها بأدق مايكون قال تعالى (ماأصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير . لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) الآية . وقال (ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شىء عليم) . وقال (الذى له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شىء فقدَّره تقديراً) وقال (إنا كل شىء خلقناه بقدَر)

وإذا كنا نعلم أن المهندس لايشرع فى بناء بيت إلا بعد أن يقدّره مساحة ويخطط مايريد أن يعمل فيه من حُجر وغرف ومرافق ، فالله رب العالمين وأحكم الحاكمين أولى بذلك وأخلق ، وما كان ليخلق هذه

الخلائق بدون تقدير لها وفق إرادته وعلمه ، وهكذا صانع الأحذية والخياط ومثلهما يقدّرون ثم يقطعون ، وإنما نهى النبي ﷺ عن الدخول فى هذه المسألة لأنها شأن من شئون الله كما قلنا ولا دخل لهم فيها تقديماً أو تأخيراً ، والمحتج بالقدر فى أعماله محجوج بالعقل والنقل كما قال تعالى فى المشركين (وقالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرّمنا من شيء) فقال تعالى ردًّا عليهم (كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ؟ إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين)

دعوة الرسل كلهم واحدة

إن الله تعالى لما خلق الخلق اقتضت حكمته ورحمته أن يرسل رسلا لبنى البشر يعلمونهم مالا تستقل به عقولهم ولا تصل اليه أفكارهم بسهولة

فكان أول الرسل نوحا عليه السلام قال تعالى (لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) وقصته متكررة فى غير ماسورة من القرآن

وقال فى قصة هود وعاد (والى عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون) وقال فى قصة صالح وثمود (وإلى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره) وقال فى قصة ابراهيم (واتل عليهم نبأ ابراهيم إذ قال لأبيه وقومه ماتعبدون؟ قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين ، قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون ، قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك

يفعلون ، قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون ، أنتم وآباؤكم الأقدمون ، فانهم عدو لى إلا رب العالمين ، الذى خلقنى فهو يهدين ، والذى هو يطعمنى ويسقين، واذا مرضت فهو يشفين ، والذى يميتنى ثم يحيين ، والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين ، رب هب لى حكما وألحقنى بالصالحين) الآيات

وهكذا ترى قصص المرسلين فى القرآن وأن وظيفتهم وعملهم إنما كان هو الدعوة إلى عبادة الله وحده والنهى عن عبادة غيره ، مبشرين من أطاع ومنذرين من عصى ، وإنك لترى فى هذه القصص سنة الله فى اهلاك من عصى رسله وعقابه إياهم ، وإنجائه من آمن منهم

ومن وظيفة كل الرسل أنهم يعلمون الناس كيف يتوسلون إلى الله ويتقربون إليه ولم تكن تلك الوسائل إلا إيمانا بالله وعملا صالحا يرضاه

وكان كل رسول يأتى بلسان قومه وجاء خاتمهم محمد ﷺ للناس كافة للأبيض والأسود من بنى آدم للعرب والعجم فى زمن كان البشر فيه على استعداد للرقى المادى والمعنوى للجسم والروح

وأنزل الله عليه قرآنا باللغة الفصحى وهى العربية خير اللغات وأفضلها وكان كل نبى يأتى بآيات تشهد له بأنه رسول من عند الله ثم تنقضى وتموت بموت ذلك الرسول ، ولكن لما كان محمد ﷺ خاتم النبيين وأنه لا نبى بعده ودينه خاتمة الأديان أنزل عليه القرآن المبين آية باقية على طول الزمان وتولى الله حفظه فقال (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) وقال (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)

كتاب مصدق لما بين يديه من الآيات الكونيه وهو فى الوقت نفسه شاهد للرسول على أنه من عند الله وأن القرآن كلام الله نفسه لايستطيع الجن والانس أن يأتوا بسورة من مثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

ولقد بين الرسول الكريم ﷺ أحكام القرآن كما أمره ربه وبيّن الوسائل التى تقرب الناس إلى الله من أقرب طريق وأسهله فأبى أكثر الناس إلا كفورا ، واتخذوا وسائل من عند أنفسهم يتقربون بها إليه فلم تزدهم عند الله الا بعدا وغضبا وسخطا ، وذلك لأنهم اتبعوا أهواءهم وتقربوا إلى الله بما لم ينزل به من سلطان ، فكانوا أذلاء مجرمين ومانفعهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون

وكانت النتيجة أن عبدوا الأوثان وعكفوا على الأصنام باسم الأولياء وسموا عبادتهم لغير الله توسلا وتقربا فأذلهم الله فى الدنيا ولم تنصرهم أولياؤهم على أعدائهم فى الآخرة قال تعالى (فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون)

القرآن هل يمكن فهمه وتدبره

يقول الله تعالى (وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه) ولايأمر الله باتباع شىء لايمكن فهمه ولا تدبره ، ويقول (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب) سورة ص ، ويقول

(ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) فى سورة القمر، وكررها خمس مرات وقال (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) ومثل ذلك كثير فى القرآن فزعم علماء هذا الزمان بأنه لا يمكن فهمه ولا استنباط الأحكام منه لكل زمان ومكان، وان الذين كان يمكنهم الاستنباط منه ومن السنة ذهبوا وانسد باب العلم والاجتهاد إلا بشروط ما أنزل الله بها من سلطان، وكان حقا عليهم أن يحققوها فى أنفسهم مهما كانت صعبة أو متعذرة، لأن الله لم يأمر بتدبر كتابه إلا وفى استطاعة المأمورين فعل هذا التدبر، وفهم السنة التى تكفلت ببيانه، وفى صحيح البخارى قال ابن عون: ثلاث أُحِبُّهُنَّ لنفسى ولاخوانى، هذه السنة أن يتعلموها ويسألوا عنها، والقرآن أن يتفهموه ويسألوا عنه، ويدعوا الناس الا من خير

ولو كان هذا القرآن لا يمكن فهمه ولا تدبره لأتى الله بكتاب آخر ينسخه ورسول آخر يبينه، وهذا مستحيل، لأن الرسول خاتم الرسل، ولا نبى بعده، ولا قرآن بعده أيضاً

وقد قال الله تعالى (اتبعوا ما أُنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون). وتأمل شكوى الرسول يوم القيامة ممن هجروه ولم يتبعوه قال تعالى (وقال الرسول يارب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجوراً). وتوعَّد من أعرض عن ذكره فى قوله تعالى (ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) الآيات

وقد قال جل شأنه: (إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر

المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً) (وإذا قيل لهم اتبعوا ماأنزل الله قالوا : بل نتبع ماألفينا عليه آباءنا) الآية

التوحيد فى القرآن قطب دائرته

يمتنّ الله على عباده فى آيات كثيرة بما أنعم عليهم من نعمه الظاهرة والباطنة ، ويطالبهم بشكره ويتعرّف إليهم بما خلق لهم وسخر لهم لعلهم يتذكرون ولعلهم يشكرون فما يزيد الأكثرين إلا نفوراً

انظر إلى قوله تعالى : (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودّة ورحمة . ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين . ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون . ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزّل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) إلى غير ذلك من الآيات

(وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأُكُل إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) . وقوله تعالى (ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذى جعل لكم الارض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون)

بعد ماأمر الناس بعبادته فى هذه الآيات وذكر صفاته التى يستحق بها تلك العبادة من خلقه والنعم التى منها جعله الأرض فراشا والسماء بناء وإنزاله من السماء ماء لهم الخ ثم نهاهم أن يجعلوا له أندادا فى العبادة وهم يعلمون أنه لاند له

فالتوحيد الذى دعت إليه الرسل من أول نوح إلى آخرهم محمد عليه الصلاة والسلام هو توحيد العبادة وهو إفراد الله بها ، وقد ضل عن هذا المعنى خلق كثير ومنهم كثير من مسلمى هذا الزمان إذ أصبحوا بجهلهم أضل من مشركى العرب إذ كانوا يدعون الله فى الضراء وينسونه فى السراء ويدعون غيره من أوليائهم ويقولون (مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى)

وكانوا إذا سئلوا (من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله)فهم كانوا معترفين بأنه وحده الخالق الرازق المحيى المميت المدبر للأمر لاشريك له فى ذلك ، ولكنهم جعلوا له ندا فى العبادة فكانوا مشركين بذلك

وكان اعترافهم بأنه خالق كل شيء ومدبر الأمر كله بلا شريك حجة عليهم فى عبادتهم غيره من أوليائهم باسم التقرب اليه كما قال عنهم (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولاينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لايعلم فى السموات ولا فى الأرض ؟ سبحانه وتعالى عما يشركون)

وفى القرآن كثير من سؤالهم فى توحيد الربوبية وإجابتهم عنه أحسن جواب ، وإقامة الحجة عليهم بما اعترفوا ، فيما أنكروا من توحيد الالهية الذى هو إفراده بالعبادة ، كما فى سورة النمل حيث قال جل من قائل (وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير ، أم ما يشركون ، أم من خلق السموات والأرض ، وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ، ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ، أإله مع الله بل هم قوم يعدلون) أى يسوون بالله خالقه فى دعائهم وعبادتهم (أم من جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا ، أإله مع الله بل أكثرهم لايعلمون ، أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ، أإله مع الله قليلا ماتذكرون ، أم من يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته ، أإله مع الله تعالى الله عما يشركون ، أمن يبدأ الخلق ثم يعيده، ومن يرزقكم من السماء والأرض ، أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين)

ألا تراه يقرر ماعرفره وما اعترفوا به ثم يقفى عليه بما خالفوه إقامة للحجة عليهم ، فيقول أإله مع الله أى أمعبود مع الله يستحق العبادة بعد ذلك ، لأن الخصومة فى عبادة غيره باسم التقرب اليه والتوسل وباسم الاستشفاع وغير ذلك من الأسماء الفارغة المخترعة التى مالهم بها من سلطان ، فهذا الأصل العظيم (توحيد الالهية) لاتزال الخصومة فيه إلى يوم القيامة وأكثر المسلمين قد ضيعوه وعملوا أوثانا وأصناما بأسماء صالحين يعبدونها بطواف ونذر ودعاء استغاثة وتوكل وحب وغير ذلك

مما لا يليق إلا بالله ، ومن كلمهم فى ذلك على سبيل النصيحة والإرشاد نبزوه بالالقاب وكفروه وعدّوه متنقصا لأوليائهم وهم فى الوقت نفسه هم المتنقصون للرب سبحانه بإعراضهم عن دعائه بعبادة غيره

والمصيبة أنهم يجهلون أن مايفعلونه لأوليائهم هو عبادة وتأليه وشرك من مات عليه لايدخل الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط ولا حول ولا قوة إلا بالله

القرآن ايضا

القرآن كلام الله تعالى وقد قال تعالى فيه (إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين) الآية

وقال النبى ﷺ فى صحيح البخارى من حديث إبى هريرة « مامن الأنبياء نبى إلا وأعطى من الآيات مامِثْلُه آمن عليه البشر وإنما كان الذى وتيته وحيا أوحاه الله إلىّ فأرجو أنى أكثرهم تابعا يوم القيامة »

ومن حديثه أيضا قال رسول الله ﷺ (كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا يارسول الله ومن يأبى قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى)

القرآن يقول الله فيه (ياأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ، قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) لو عمل به الناس لسعدوا ولكانوا خير البرية ولكن المسلمين تركوه فشقوا كمثل فقير أضر به الفقر وعنده كنز لايعرف كيف يفتحه وينتفع به

هل الاسلام ينافى الرقي فى التعليم

والفنون و الصنايع

كلا بل الإسلام يدعو إلى ذلك فى آيات كثيرة . ومن ذلك قوله تعالى : (أوَلَم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء) (قل انظروا ماذا فى السموات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون) (وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون) (علّم الإنسان مالم يعلم)

(إنما يخشى الله من عباده العلماء) بعد ما قال (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ، ومن الجبال جُدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك ، إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور)

(إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب) (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون،والشمس تجرى لمستقرّ لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) إلى مثل هذه الآيات . وكم يذكر الله آيات ويقول آخرها : إن فى ذلك لآيات للعالمين . لقوم يتفكرون . لقوم يعقلون . وفى الرياضة .والفلك والكيمياء وعلوم النبات والحيوان والجماد وعلوم الطبيعة . كل ذلك فى القرآن ولكن أضاعه المسلمون وأخذ ببعضه

الأفرنج فتقدموا وارتقوا . وحسب الجهلة من أبناء هذا الجيل أن تأخر المسلمين جاءهم من نفس الإسلام وكتابه وهم فى هذا القول ظالمون مفترون لايعرفون من دين الإسلام شيئاً حتى يحكموا له أو عليه

اهل اوربا وعداوتهم للاسلام

إن أهل أوربا يعادون الاسلام لأسباب :

الأول : أنهم يجهلونه ومن جهل شيئاً عاداه

الثانى : أن قساوستهم يلقون شبهاً ويقيمون حججاً تحجبهم عن معرفته لأنهم لو عرفوه لاعتنقوه وفى ذلك ضرر على أولئك القساوسة الذين يعيشون من جهل الأمم المتمدينة

الثالث : أن الساسة منهم يخافون أن يتمسك أهله به فيزول استعمارهم وتذهب سيادتهم واستعمارهم

الرابع : أنهم أهل أهواء وشهوات وإباحية ، والاسلام ينهى عن ذلك ويدعو الناس إلى أن يكونوا جميعا عباد الله يأتمرون بأمره وينتهون عما نهى عنه

الخامس : أنه يخالف عادات الأوربيين ، والعادة شىء يمتزج بروح المتعودين له فنقلهم إلى غيره عسير جداً دونه الموت

السادس : أنه يخالف دين النصرانية الذى ينتسب إليه كثير من أهل أوربا ولو لم يعملوا به

السابع : أن المسلمين أنفسهم حجاب كثيف بين الإسلام وبين

جماهير الأوربيين ، فان أهل أوربا حينما ينظرون إلى المنتسبين له ويرونهم متأخرين فى كل شىء وفى كل ناحية من مناحى الحياة الراقية ظنوا أن ذلك التأخر من طبيعة الإسلام نفسه ـ ولذلك يحاربونه

حكم من يبيح شيئا حرمه الله ورسوله

إن حكم من يبيح شيئا حرمه الله ورسوله سواء كان المبيح فرداً أو جماعة أو حكومة هو الكفر ، فمن أباح الزنا أو الخمر أو الربا أو نحو ذلك فهو كافر قطعا ومن رضى بذلك أو سكت عن الانكار وهو قادر فهو شريك فى الكفر أيضا . وهذا باجماع علماء المسلمين

ويمتاز الراضى بالزنا بأنه ديوث ، ويدعى فى عرف اللغة الدارجة « معرّص » وقد قال النبى ﷺ «لا يدخل الجنة ديّوث » والدياثة لا يرضى بها إنسان ، ولا يقرّها صاحب مروءة وشهامة من الرجال البتة ، إنما يقرها الأنذال وأشباههم من المخنثين والمأبونين ومن لا دين لهم ولا عرض ولا مروءة ولا إنسانية

الحرية او الديمقراطية

الاسلام هو دين الحرية والديمقراطية . والحرية والديمقراطية أن يكون الانسان حرًّا فى تصرفه مادام عاقلا غير سفيه ، وما دام لا يتأذى أحد منه بقول ولا فعل ولا يخالف نظام الاسلام فى فعل أو ترك ، فأما

حرية تنتهك فيها الأعراض ، ويهان فيها الشرف ويتُعدى على الضعفاء ، فهى الفوضى بعينها

ليس من الحرية أن تترك المرأة صيانتها وعفتها وتخرج متبرجة لتفسد أخلاق الشبان باسم الحرية ،وليس من الحرية أن تخادن غير زوجها وتترك بيتها بغير إذن زوجها ، وليس من الحرية أن يترك الرجل زوجته ويصاحب غيرها أو يسمر مع أصحابه طول الليل فى لعب ولهو وقمار وخمر . وليس من الحرية أن يعمل كل إنسان مايشتهى سواء وافق الشرع أو خالفه

وإذا كان السفيه يؤخذ على يده كى يحفظ ماله فأولى بكل من يعتدى على زوجه وأولاده ويتعدى حدود نظام الله أن يؤخذ على يده ، ويقف عند حده

الاصلاح وكيف نتقدم .

نستطيع أن نقول إن الاصلاح ممكن ولـكن بالأخذ بأسبابه وإزالة مايعترضه من عوائق فى سبيله

لقد خرج الانكليز من مصر والاسكندرية وخرجوا من قصر النيل بعد ٦٥ سنه يوم ٣١ مارس سنة ١٩٤٧ ، ولـكنهم لازالوا فى السودان وحوض السويس ولا تزال مصر تطالب بجلائهم وتجاهد فى ذلك — وهو الواجب ، وهذا مايمنع أن نعمل فى الداخل من الاصلاح

وأول ما يجب أن نبدأ به :

١ — إصلاح البرامج المدرسية وإدخال الدين والأخلاق فيها والعلوم والفنون التى لابد منها مع التخصص فيها ، ومراعاة رغائب الطالب بعد علوم الثقافة العامة

٢ — اصلاح برامج الأزهـــــر وحذف كل مايزيد عن الحاجه الضرورية من العلوم وزيادة بدلها فى العلوم الدينية لاسيما علوم القـرآن والسنة ومايلزمها من علوم اللغة العربية

٣ — وضع برنامج ثابت للوزارة بحيث يكون مراعى فيه مصلحة الأمة ولايجوز لوزارة هدم شىء منه إلا بواسطة مجلس الشورى

٤ — إصـلاح برامج وزارة المعارف ولاسـيما فيما يتعلق بمدارس البنات وأن يقتصر فى تعليمهن على مايساعدهن فى تدبير البيوت ويجعلهن صالحات لأن يكن أمهات مربيات صينات عفيفات

٥ — إفشاء التعليم مجانا ، وجعل التعليم الابتدائى إلزاما ، أما الثانوى والعالى فينظر فيه ، ويقرر بحسب ظروف الطلبة والأمة

٦ — التمسك بأهداب الدين ، وأن تتضافر المعاهد ولاسيما الأزهر وجميع الوزارات على إقامة الدين والعمل به

٧ — يراعى تنشئة أبناء الأمة ذكورا وإناثا على مبادىء الأخلاق الحسنة ، وأن تتعـلم الإناث إلى سن العاشرة فقط ولايسمح لها بتعـلم اللغات الأجنبية

٨ — يمنع منعا باتا كل مايحرمه الدين من ربا وخمر وزنا ،وتقام الحدود الشرعية ،ويحل الشرع الاسلامى محل القوانين الوضعية ،ويمنع تبرج النساء وتقفل مواخير العهر والفساد والحانات ، وعلى المعارف والأزهر ووزارة الشؤون الاجتماعيه السيطرة على دور السينما والرقص والأغانى والخلاعة فتبطل كل مافيه فساد أخلاق الأمة من أغان مخنثة وإعلانات تنافى الدين

٩ — يجب أن نفهم العزة والمجد ونفهمها لأولادنا ، ونعمل على أن نكون أمة واحدة لا أحزاب فيها ، إلا حزب الله (ألا إن حزب الله هم المفلحون)

١٠ — الملحدون فى كل أمة هم معاول الهدم فيها ودعاة الفتنة وحزب الشيطان فيجب على الحكومة معاقبتهم إما باقصائهم عن الوطن المفدى وإما بالزامهم السلوك الذى لايشم منه رائحة الدعوة إلى الاستهتار بالدين والطعن فيه ، والحط من كرامته ، وتقفل كل صحيفة تدعو إلى الخلاعة بالتصوير أو غيره

١١ — توحد المحاكم ، ويكون الحكم فيها للاسلام

١٢ — وعلى هذا فيجب أن يكون لدينا علماء قادرون على الأخذ من الكتاب والسنة مايناسب حال الأمة وهذا الزمن ، ومع الأسف ليس ثَم علماء من هذا الطراز ، وذلك كله نتيجة التقليد لعنه الله

١٣ — يجب على الحكومة الإسلامية أن تحفظ كرامة كلام الله فلا تسمح لحامله بالتأكل به ولا بقراءته على القبور ولا المآتم

المدارس المدنية

لابد للمدارس المدنية من دروس دينية لاتمت إلى مذهب معين بصلة ، ولكن يحفظ الطلبة أحاديث عن النبي ﷺ من أصح الحديث فى الطهارة والوضوء والصلاة وسائر أركان الإسلام ، وذلك بعد اختيار عقيدة سلفية كالواسطية لشيخ الاسلام أحمد بن تيمية أو أبى الحسن الأشعرى

الازهر

أما فى الأزهر فيقرر مثل ذلك فيه على الطلبة المبتدئين ، أما فى الثانوى فيقرر فيه البخارى ومسلم والسنن الأربعة وموطأ مالك . وفى سنى التخصص يقرر كتاب كبداية المجتهد لمعرفة مآخذ العلماء وكيفية استنباط الأحكام إذ لابد للأمم الاسلامية التى تريد الرقى والاستقلال من علماء يستنبطون لها ما يناسب هذا الزمان من الأحكام من القرآن والسنة. وليس من العقل والمنطق أن نحكم مذاهب أناس تقدموا كانت هذه المذاهب لها ظروف ومناسبات تليق بها ، وكم من إمام كان يرى الرأى بالأمس فيرجع عنه إلى غيره فى الغد . وكلام عمر لأبى موسى الأشعرى مشهور ورسالته إليه مستفيضة وقد نقلها الإمام ابن قيم الجوزية فى كتابه الشهير « أعلام الموقعين » وشرحها شرحا بليغاً فليرجع إليها من شاء

ألا وإن التمذهب بمذهب لطالب علم غير معقول ولا ينطبق على منطق . ذلك بأن العبادات قد بيّنها النبى ﷺ وأحاديث بيانها ولله الحمد معروفة . والعبادات توقيفية وليس لإمام ولا لعالم فيها كلام إلى يوم القيامة . وكذلك الحلال والحرام والمواريث وما إلى ذلك

أما المسائل الاجتهادية وهى التى تتعلق بالقضاء والقضاة وتدخل تحت الأصول والتى جاء فيها حديث « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر » فمذهب كل حاكم له فقط صوابه وخطؤه

أما دعوى التمذهب والمذاهب فهى من البدع الضالة التى فرقت الأمة قديماً وحديثاً وهى لم تحدث إلا بعد الصحابة والتابعين وقد تبرأ منها الأئمة لما شعروا بتعصب العوام لها . وقد نقل ذلك ابن عبد البر فى كتابه « بيان فضل العلم » بروايات صحيحة عنهم وإنى مستعد لمناظرة أى مخالف فى ذلك ومباهلته إن أصر على جواز التمذهب

إن التمذهب هو التفرق بعينه وهو الذى يؤدى إلى العصبية الجاهلية الأولى والذى أدى إليها من قبل ، وكان من أسباب ضياع عز الاسلام والمسلمين وهو الذى عناه الله تعالى فى قوله (إن الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء) فى سورة ص . وقد نهى الله عن التقليد فى آيات فى القرآن وشنع على المشركين باتخاذه . إذ التقليد هو عدم التفكير أو كما قال الأصوليون هو أخذ الحكم بغير دليل وصاحبه ليس بعالم ، وقد أجمعوا على أنه لايجوز توليته القضاء والافتاء

مسألة الزواج والطلاق

من أهم المسائل الاجتماعية مسألة الزواج والطلاق ، وقد عنى القرآن أجلّ عناية وعنيت بها السنة النبوية كذلك ، فمن السخف وقلة الأدب تكلم أحد من الناس فيها برأيه كائناً من كان ، ومَن هذا المجرم السفيه الذى يتكلم فى نظام إلهىّ بزيادة أو نقص وهو أجنبى عن هذا النظام فضلا أن يعرفه ويتكلم فيه

تحديد عدد الزوجات

وقصر الرجل على واحدة

هذا أيضاً من الأمور التشريعية الالهية ، فما كان لفرد أو لحكومة أن عبث بدين الله وتزيد أو تنقص فيه ، فالله أباح الزواج إلى أربع ولم يجعل تلذلك شروطاً إلا مابينه بقوله (فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة) . فعلى الحكومة الاسلامية أن تربى رعيتها تربية دينية خلقية تجعل الناس يخافون الله ويعدلون فى النساء . ولم يكن فى عصر من عصور الاسلام تدخل إحدى حكوماته فى مسألة تعدد الزوجات والحجر على من أراد التزوج بأكثر من واحدة ، وإذا كنا ونحن فى بحبوحة التعدد الذى شرعه الله وأباحه لايقتصر عليه الناس واتخذوا من ورائه خليلات لاحصر لهن وزوجات غير شرعيات لاعدد لهن . فكيف إذا قصر الرجل على واحدة

فكيف ونحن الآن فى زمن كثر فيه النساء وصرن أضعاف أضعاف الرجال ؟

دعوة الملحدين الى تقليد اوربا

يوجد ناس من هؤلاء العمى الصم البكم يدعون إلى تقليد أوربا فهم والله شر من الحشرات المؤذية الضارة ، فى الأمة ، وإنهم لدعاة فتنة وأمرهم لايخفى على الناس

على أن التقليد لايفيد فى الحق فكيف فى الباطل - إن دعوة هؤلاء العمى الصم البكم ، دعوة الى شر سيكونون أول من يقع فى شره ويصلى ناره ، وهم أعداء هذه الأمم الشرقية ، بل هم ألد أعدائها ؛ فعلى من قدر أن يكف شرهم فليكفه بما استطاع ، وإن الله لموهن كيد الكافرين

الدنيا وفتنتها

قد حذّر القرآن الكريم فى مواضع كثيرة من الدنيا وحذرت الرسل منها ، وكان النبى ﷺ مثال الزهد فيها ، والعزوف عنها ، وكان ذلك من دلائل معجزاته وبأنه رسول الله حقاً

قال تعالى (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء ، فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازّينت وظن أهلُها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيداً

كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون)

فهذا مثل من أبلغ الأمثال وأروعها لزوال الدنيا وذهابها عن أهلها أشد ما كانوا حبالها وإعجاباً بها واغترارا بزينتها . واتل قوله تعالى (زُين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) وقال (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور)

ولقد اغتر بها أكثر الناس فأسكرتهم بخمرها فلم يفيقوا إلا وهم فى أسر البلا . ولقد ضرب النبى ﷺ لها أمثالا وحذر أمته منها ، وقال « ان أخوف ما أخاف عليكم الدنيا ، فتنافسوها كما تنافسها من كان قبلكم » ومر بسخلة منتنة فقال لأصحابه من منكم يشترى هذه بدرهم ؟ فقالوا جميعا ومن يشتريها قال ﷺ والله للدنيا أهون عند الله من هذه عندكم أو كما قال

وكان ﷺ يقول مالى وللدنيا إنما أنا كمسافر قال تحت شجرة ثم تركها وقال لابن عمر « كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » وكان ابن عمر يقول إذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح

ولقد اغتر بها أكثر الناس وظنوا أنها ستبقى لهم ونسوا الموت والحساب ، وقالوا ماهى إلا حياتنا الدنيا ، ومانحن بمبعوثين ، فذهبوا أخيراً وتركوها راغمين ولم يأخذوا منها شيئاً وكان الله خير الوارثين

سل عنهم تلك القصور الخالية والربوع الدارسة والقبور الهامدة الموحشة فهل تسمع منهم من أحد أوتسمع لهم ركزا ؟

انظر إلى هذه الحروب العالمية التى شاب لهولها الولدان وكان سداها الحديد والنيران . هل كان كل ذلك إلا لأجل الدنيا ومطامعها . بل انظر إلى أقرب من ذلك إلى المحاكم والحكام والمظالم والأحكام ، فهل ترى ذلك كان لشىء غير الدنيا ؟

إذن فما بال الناس لا يرجعون إلى ربهم ولا يربؤون بأنفسهم ولا يفيقون من سكرهم ولا يعملون للآخرة التى وعدهم فيها ربهم نعيما مقيما ومتاعا باقياً ومُلكا عظيما

اللهم لا حول ولا قوة إلا بك (إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) . اللهم وفقنا لما تحب وترضى ولا تكلنا إلى نفوسنا وشهواتنا وأنت أرحم الراحمين

ذكرى

ابن آدم : اتق الله تعالى ، كيف يسوغ لك المطعم ، وقد فعلت ما تعلم ، يامعوجاً بالشقاق لا يتقوم ، يامرتضعاً ثدى الأمل عن قليل تفطم ، أما يؤثر فيك عذل اللوم إن كان لك عذر فقل وتكلم ، سيظهر قبيحك غداً فالى كم تستكثر من القبيح وتكتم

أين غضك طرفك عن كل محرَّم . أين إمساكك لسانك فالتقى ملجم . تأخذ أعراض الناس وتلدغها لدغ أرقم . لسانك معسول بالخداع وقلبك علقم . اللذة تفنى والعذاب يبقى هل تفهم ؟

عجباً لنفس تنكر الجزاء ماأعماها . أما أظهر الأدلة لها وجلاها ؟
من الذى مدَّ الأرض ودحاها ، وابتعث الغمام فسقاها (وآية لهم الأرض الميتة أحييناها) أما فى هذا دليل لها فما أشقاها (أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها)

من جاء بالشمس وضحاها والنهار إذا جلاها والليل إذا يغشاها . من أهلك ثمود بطغواها إذ انبعث أشقاها . من صف حب الرمان إذا صف، من أنشأ ذوات الظلف والخف، من الذى تعلقت بفضله الأكف فكفها بالغرض وكفاها . من أخرج الأصول لا من أصول . من بقدرته يبطش ويصول، ويقول للشىء كن فيكون كما يقول،لا يمتنع عن الإرادة ولا يأباها، يقول للأشياء عودى فتعود،وترجع مخضرة بعد يبس العود، ويقضى لأقوام بالشقاء ولأقوام بالسعود . واهاً لذلك اليوم واها يامقبلا على عدوه معرضاً عنى . هل رأيت خيراً قط إلا منى . أنا الذى لطفت وعطفت وجمعت بين المتضادات وألفت وعرفتك نفسى فقدمتك وشرفت . متى تشكر أنعامى ورفقى . أرضيت أن تكون من شرار خلقى . مَن لك إن رميتك بهجرى من لك إن حرمتك أجرى . من لك إن حبست عنك ماأجرى . من لك إن منعتك الهدى بحجرى . ياغافلا وهذا العتاب يجرى . يامصنوع قدرتى ياموضوع حكمتى . يامن علمته اسمى وعرَّفته صفتى احذر عصيانى وخف مخالفتى . يامقبلا إلى بابى مرحباً وأهلا . يامبارزاً بالذنوب رويداً ومهلا . ياقليل الشكر من كفلك طفلا . يامتحيراً فى أمره، والقرآن عليه يتلى . يامغتراً بالحلم كم تحت الحلم جرحى وقتلى . يامسروراً بعيشه عيشُ محبتىِ أحلى

يامن أبعده حب الأكل والوسادة ، طاعتك فى نقصان ومعاصيك فى زيادة . يامن يسرع إلى مايضره ويبادره ، ويعرض عما ينفعه ويحاذره ، ويبارز الخالق بالخطايا ويجاهره . أما رأيت قصرا ملئت بالموت مقاصره . أما عاينت ملكا تفرقت عشائره . أما أبصرت ذخراً لم ينتفع به ذاخره . أما الدنيا جسر وكل حى عابره . إلام هذه الحيرة والمقصود معروف ، وعلام تعتمد من عملك يوم الوقوف ، وبم احتجاجك وكتابك بالسيئات منضود ومحفوف . أما وعدك ربك النصر إن أنت نصرت دينه . أما وعدك إحدى الحسنيين إن جاهدت فى سبيله

أما والله ماعائد إلى المسلمين عزهم ومجدهم حتى يتحدوا ، ولن يتحدوا حتى يتحابوا ، ولن يتحابوا حتى يرجعوا إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم (إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا مابأنفسهم) قال رسول الله ﷺ « جعل رزقى تحت ظل رمحى وجعل الذلة والصغار على من خالف أمرى » رواه أحمد

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (إن الابرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم يصلونها يوم الدين وماهم عنها بغائبين وما أدراك مايوم الدين . يوم لاتملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله »

لماذا خلق الجن والانس ؟

قال الله تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون . ماأريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون)

بيّن الله تعالى فى هذه الآية الكريمة حكمة خلقه الجن والانس وهى العبادة قال بعض السلف كابن عباس وغيره (إلا ليعبدون) إلا ليوحدون

ونحن إذا نظرنا فى مخلوقات الله تعالى وجدنا أكرم الخلق بنى الانسان ، ذلك لأنه تعالى قال فى كتابه العزيز (هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شىء عليم . وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك الآية)

فبيّن الله تعالى إكرامه لبنى آدم وإسجاده الملائكة له وأنه طرد إبليس لإبائه السجود له تكبراً وتعاظما وأنه خلق له مافى الأرض جميعاً من نبات وحيوان وجماد

وقال فى آية أخرى (الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . وسخر لكم مافى السموات وما فى الأرض جميعاً منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون)

فهذا إخبار من الله تعالى وامتنان على بنى آدم أنه سخر له كل شىء وذلله . ومعنى ذلك أنه فضله على كل ماخلق وأنه سخر له كل شىء وذلله ليعبده ويشكره وهذه هى حكمة خلقه

فاذا كان بنو آدم لايعبدون الله وقد ذلل لهم كل شىء فى السموات والأرض فما الفائدة من وجودهم ؟

فخاب وخسر من لم يعبد الله تعالى ويتفان فى عبادته ويعلم أنه مخلوق لذلك وأن له بهذه العبادة الشرف كل الشرف

وقد هيأه الله بهذه العبادة إلى حياة كاملة خالدة سرمدية فى الآخرة فى جنة عرضها السموات والأرض . فالعاقل هو الذى يعمل لهذه الآخرة كما أمره ربه وإلهه وخالقه ولا يغتر بهذه الحياة الناقصة الفانية التى جعلها الله مزرعة للمتقين

وأن من لم يعرف لِمَ خُلق فهو أضل من الأنعام قال تعالى فى هؤلاء الجهلة (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون)

ويقول جل شأنه فيهم (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون)

انظر إلى كثير من الأفنديه والبكوات والبشاوات والخواجات وأصحاب الثراء والقصور والعمارات يعيشون عيشة البهائم لاهمَّ لهم إلا الأكل والشرب والسفاد ، وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة وقد عموا عن الآخرة وجهلوا أحسن شىء وأفضله وهو عبادة ربهم . ولا عجب فقد ملأت الدنيا قلوبهم وأبصارهم وظنوا أن لا علم إلا علوم الدنيا وقد قال الله تعالى (ولكن أكثرهم لايعلمون ، يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) وقال

تعالى (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون . فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا مشركين، فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا، سنة الله التى قد خلت فى عباده وخسر هنالك الكافرون)

وقد أخبر تعالى عن عاد وثمود إن الشيطان زين لهم وصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين ، يعنى والله أعلم أنهم كانوا مستبصرين فى علوم الدنيا

فالجن والانس إنما خلقوا ليعبدوا الله ويقوموا بخدمته من ذكر وشكر وعبودية ليجزيهم أحسن ماعملوا فى دار البقاء وإلا فياويلهم من عذاب النار جزاء ماجهلوا وكفروا النعمة التى أنعم الله بها عليهم ، نعمة الكرامة والتشريف بهذه العبادة

وقد يعترض معترض فيقول (اذا كانت الجن والانس خلقوا للعبادة فلماذا إذن تركوها وعصوا ربهم)

قلنا فى الجواب المعنى خلقهم للعبادة فخالفوا وعصوا اتباعا لشهواتهم وتغليباً لأهوائهم على عقولهم وإيثاراً للذة الفانية على النعيم المقيم

والخلاف والعصيان واقعان بقدر الله ومشيئته ، أو يقال ان المعنى خلقت الجن والانس ليكونوا عبيداً لى المطيع بطاعته والعاصى بعصيانه فكلاهما لايخرج عن العبودية ولايستطيع الخروج عنها مهما أوتى من قدرة وقد تعبدهم تعالى بالأمراض والمحن والموت والفقر وغيرذلك فهل استطاع أحد منهم الخروج عن طاعة الله طوعا أو كرها قال تعالى (ولله يسجد

من فى السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال)
والله أعلم .

اغترار الخلق بامهال الله لهم

إن من الحكم المأثورة الجارية مجرى الأمثال قولهم (إن الله يمهل ولا يهمل)

ولقد قص الله علينا قصص الذين اغتروا بإمهال الله لهم فتمردوا وعصوا وفجروا مغترين بقوتهم حتى قال قوم عاد (من أشد منا قوة أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون. فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً فى أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لاينصرون)

ولقد كانوا يستعجلون أنبياءهم بالعذاب قال تعالى (ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات)العقوبات ، وفائدة إمهال الله الخلق وإعطائهم مهلة يمكن أن يتذكر فيها من يتذكر إقامة الحجة عليهم والاعذار إليهم(وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) ولعل أن يتوب منهم تائب ويرجع راجع ولو أن الله أخذ الناس بظلمهم حين يتورطون فى معاصيه ويرتكبون مناهيه لما ترك على ظهرها من دابة، ومن الأغرار من لايعرفون سنة الله فى خلقه فاذا قلت مثلا : إن الأمة المصرية فى حال سيئة تستلزم غضب الله عليها ولا بد أن ينزل بها العذاب الأليم جزاء مااقترفت وتقترف

من الذنوب والمعاصى والشرك ، قالوا هذه انكلترا وأمريكا والروس وفرنسا يتمتعون بنعم كثيرة وهم أكثر من مصر ذنوبا وفسوقا فلماذا لم يرسل الله عليهم عذابا يجتاحهم وعقابا يستأصلهم؟ وهذه الشبهة طالما باضت وعششت فى أمخاخ الجهلة الذين يغترون بإمهال الله لهم ، ولو استقرءوا التاريخ وتصفحوا قديمه وحديثه لعلموا أن لله سننا فى خلقه لاتتغير ولا تتبدل وأن الله ليملى للظالمين ويمهلهم حتى إذا أخذهم لم يفلتهم

ولقد آخذ الله هذه الأمم فى هذه الحرب العالمية مؤاخذة أصبحت حديث العالم إذ صب عليهم عذاب الحرب الموجع صبا، لم يكونوا يعرفونه، عذاب أدهشهم وحير عقولهم ، جاءهم من فوقهم ومن تحت أرجلهم ومن حيث لايشعرون

فالذين عرفوا سنن الله فى خلقه كانوا يتوقعون ذلك العذاب وينذرون قومهم عاقبة سرفهم فى المعاصى والفسوق واللذات والشهوات ، والجاهلون كالإبل المعقلة لاتدرى فيم عقلوها ولا لما اطلقوها

وهذه مصر المسكينة سلط الله عليها الانكليز أكثر من نصف قرن أفسدت أخلاقا حسانا وغيرت عادات شرقية عربية بعادات أفرنجية وقحة ، وجعلت الأبناء يخرجون على آبائهم ، والبنات عن الحياء والأدب ، وهذا من أشد النكبات التى تصيب الأمم وتكون نذير هلاكها الأبدى

وقد كانت مصر تصلى قبل ذلك عذاب الظلم والاستبداد إذ كانوا يحفرون الأنهار ويعملون بالليل والنهار ويُضربون بالسياط حتى تلغ الكلاب من دمائهم وتروى الأرض من دموعهم

وكذلك يبتلى الله الناس بالخير والشر فتنة وإليه يرجعون فيجزيهم الجزاء الأوفى

فماذا يقول المغرورون اليوم بأمريكا ومثلها من الأمم التى لم يحن حين عذابها وهى فى فترة الامهال وسيأتيها العذاب بغتة كما أتى اليابان والالمان والانكليز وهم لايعقلون ولا إلى الله يفيئون

ونعود فنقول للمسلمين : أيها المسلمون إنكم أهملتم دينكم وخرجتم على نظام ربكم الكونى والشرعى وإن للخارجين عقوبات لابد نازلة بساحتهم ومبيرة لهم ، فتداركوا أمركم

وقد قال تعالى (إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)

وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم مايتقون إن الله بكل شىء عليم ، وقال عز من قائل (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوى شديد العقاب. ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم . كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين)

فياأيها المسلمون ارجعوا إلى ربكم قبل أن يأتيكم عذاب لاقبل لكم به جزاء ماغيرتم من دينكم وبدلتم وتركتم من أوامر الله واتخذتموا الدين هزؤا ولعبا ، واستبحتم ما حرم الله عليكم من خمر وربا وزنا وقمار وبدع وغير ذلك مما تجرأتم به على الله وكتابه وسنة رسوله ﷺ

فعودوا إلى دينكم وغيروا ما بأنفسكم كى يغير الله ما بكم ويرحمكم

غيروا البرامج واجعلوا للدين أكبر حظ فيها وابذروا الأخلاق الحسنة فى قلوب أبنائكم وعلموهم مع علوم الكون مايحتاجون إليه فى دينهم وأخلاقهم، وتوبوا إلى الله ربكم واستغفروه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى وتكونوا أعز الأمم وأكثرهم مالا وولدا ، واعلموا أن ذنبكم عظيم فى تركّكم دينكم

واحكموا بما أنزل الله لكم وكونوا عباد الله لاعباد الشيطان والأوثان

أيها المسلمون اقرأوا تاريخ آبائكم الأولين أيام كانوا متمسكين بدين ربهم ، أيام ملكوا العالم وكان لهم من الملك مالم تغب عنه الشمس ولا تغتروا بحلم الله واعلموا أن الميزان القسط هو العمل بأوامر الله والانتهاء عما حرم الله ، وأصلحوا اجتماعكم بالاخلاق وخذوا بأحكام الله : وإلا فانتظروا سنته فى خلقه المتمردين على دينه وإليه يرجع الأمر كله وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون

الملحدون فى الاسلام

وفى كل شىء له آية   تدل على أنه الواحد

فى كل شىء من مخلوقات الله دلائل واضحة وحجج ساطعة قاطعة على وجود الله وقدرته وسائر صفاته

ومن الآيات الدالة على قدرة الله تعالى ماترى فى بنى آدم من اختلاف وتضاد فتجد منهم مبصرين وعميانا وأذكياء وأغبياء، وفقراء وأغنياء، ولو كان باستطاعة أحد منهم أن يغير حاله إلى أحسن حال لفعل، ولكن سبحان من خلقهم وقسم بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفع بعضهم فوق بعض درجات (وربك يخلق مايشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون)

ومن آيات الله تعالى فى خلقه أنك ترى أحدهم ذكيا فطنا، وإذا رأيته أعجبك شكله ومنظره وإذا تكلم بهرك منطقه وفصاحته، وقطعت بأنه من العقلاء العباقرة، ثم أخبرك باطنه فيما يؤلف من كتب أو يقول فى محادثة ومحاورة أنه أعمى البصيرة لا يفرق بين حى وميت وأعمى وبصير

ومن هؤلاء العمى الذين طبع الله على قلوبهم رجل كان يذب عن التوحيد ويقرره فى كتبه ورسائله والناس معجبون به، إذا هو بين عشية وضحاها يشكك فى وجود الله تعالى ويزعم أن الاسلام هو الذى أخر متبعيه وأنهم لا يرتقون ولا يسيرون مع ركب الأمم المتقدمة الراقية إلا بترك هذا الدين القويم، ومن هو هذا المسكين الذى أصيب فى عقله ودينه، وما هو هذا الكتاب الذى ضمنه مخازيه وحملته على الاسلام ! أما الكتاب فاسمه الأغلال، وهو يريد بهذه التسمية أن أوامر الاسلام ونواهيه (أغلال) وأما هذا المؤلف فهو أحقر من أن يذكر إلا بالسخرية والاستهزاء

وفى مصر ملحدون كثيرون عادوا الاسلام عن جهل به وعدم معرفة

لتعاليمه ، وذلك لأنهم نشأوا بعيدين عنه ، وهؤلاء أقرب إليه لأنهم لو فتحوا كتابه لوقفوا على ماتقر به أعينهم وترضى به أنفسهم وترتاح إليهم قلوبهم؛ وأما الملحدون الآخرون فهم أصحاب شهوات وشبهات عادوا الاسلام لأنه يضيق عليهم من دوائر فسقهم وشهواتهم؛ ويحرم عليهم الرذائل ويضطرهم إلى نظام حي فى الحياة لايريدونه فآثروا الخروج عليه والطعن فيه، وكان من حلم الله عليهم أن أملى لهم وأمدهم فى ضلالهم فازدادوا بذلك غرورا ، وكانوا قوما بورا

والملحدون فى كل أمة متدينة دعاة فتنة وقادة همجية لايعرفون معروفا ولاينكرون منكرا فهم بلاء الشعوب ، ووباء الانسانية ومرضها وعلة الاجتماع ، ولاشفاء للأمم منهم إلا بضرب رقابهم واستئصال شأفتهم وملحد الأغلال بزّهم فى البهتان والكذب على الله والقرآن ، فالقرآن يدعو إلى الايمان والأعمال الصالحة وإلى العلوم والمعارف ، ومن ذلك قول الله تعالى(أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وماخلق الله من شيء)

ومن ذلك قوله تعالى (وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم) وفى القرآن آيات كثيرة تدعو إلى البحث والنظر؛ وتحث على الضرب فى الأرض ، واستخراج كنوزها وتعلم علومها ، فهل هذا الدين يؤخر متبعيه فما هى الآيات التى تدعو إلى ترك العمل والانصراف عن الحياة؟ والظاهر أن هذا الملحد اشترى بآيات الله ثمنا قليلا وسيرى عاقبة ماسولت له نفسه . وقد قلنا فيه وفى أمثاله هذه القصيدة :

الى صاحب الاغلال

مدحتك ياأخا الأغلال قبلاً   بما ألفت (من سفر الصراع)

فأما الآن فاسمع من قوافى   هجائك مهلكات كالأفاعى

تساور مارقاً يدعو لكفر   تردّى فى الثرى بعد ارتفاع

عزوت إلى الشرائع كل نقص   ومنك النقص فى كل المساعى

وقلت (الدين أخر تابعيه)   وهذا قول أحمق لايراعى

أتنكر دين خير الخلق طرا   وتاريخا تواتر بالسماع

أتنكر ياغوىّ قرون صدق   سموا بالدين فى كل البقاع

أما ملكوا الورى فى كل قطْر   بدينهم القويم والاتباع

أهذا الدين أخر تابعيه   وهذا الدين من رب مطاع

فقل لى يا أخا الاغلال واصدق   أكذبٌ منك أم قصر اطلاع

جنون منك أن تدعو لكفر   وتؤثره بمنزور المتاع

تبيع الدين بالدنيا غرورا   لتشهر بين أوباش رعاع

أَمَا دَكَّ الصحابةُ كلَّ عرش   بهذا الدين مِنْ بَعْدِ القلاع

فسل إن كنت لم تعلم وإلا   فدار الجهل ياابن بنى لكاع

أيا بلعام عصرك أىّ أرض   تقلك والأنام عليك داع

وقد بارزت ربّ العرش جهرا   لكفر فيك أو لؤم الطباع

فمن يحميك من رب غيور   شديد البطش ذى أمر مطاع

أما والله إن الدين عز   لمن والاه حقا باتباع

وليس الذنب ذنب الدين لكن   ذنوب الجاهلين بالابتداع

ألا ياابن القصيم ضللت فارجع   فان الحق أولى باستماع
لقد أسرفت فى الأغلال حتى   سقطت وكنت طلاع التلاع
وقد والله أشمتّ الأعادى   بلا سبب لديك ولا دواع
فبيّن بالأدلة أىّ غل   أتى فى الدين عقل أو سماع
وفى التنزيل أم سنن صحاح   نهاك الله عن حسن اختراع
تحبذ فعل إفرنج تولوا   عن الأديان والرب المطاع
وتهوى أن يعيش الناس فوضى   كأنعام تسافد فى المراعى
وتدعو للتبرج كل أنثى   بلا خجل لديك ولا ارتداع
أتدعو للجهالة بعد علم   وللفحشاء والنكر المشاع
أيعجبك الفرنج وهم وحوش   وما للخير عندهم دواع
فما يرجون من رب ثوابا   ولا يخشون كالإبل الرتاع
ويوم الحرب عندهم جحيم   تصب على الأكابر والرعاع
على الأطفال والضعفاء تترى   بلا رفق أضر من السباع
ولولا الشرق فى نوم عميق   لما نعم العلوج بذا المتاع
فأبشر ياغوى بكل خزى   وما تلقاه من صفع اليراع
ستندم يوم تجزى كل نفس   بما عملت لدى نشر الرقاع

تذكير

أتذكر يوم كنت حليف فقر   وقمل فى ثيابك واللفاع
فلما أن حباك الله مالا   لتشكره بقدر المستطاع
بطرت وقمت للرحمن حربا   بلا خجل لديك ولا قناع

خسرت الدين والدنيا جميعا ... ومالَكَ فى القيامة مِنْ دفاع
فتب لله قبـل الموت واصدق ... ودع ماقد نسجت من الخداع
نصحتك إن قبلت اليوم نصحى ... وان تعرض فإعلان الوداع
ويوم الحشر ينـدم كل باغ ... ويلـقى ماجـنى صاعا بصاع
وان متعت أياما قصارا ... فما الدنيا الغرور سوى متاع

مدفوعة الى الملحد الدجال

قولوا لهذا الملحد الدجال ... أحبطت ماقدمت، من أعمال
وسببت دين الله ياشر الورى ... وأطعت كل مضلل دجال
وتقول إن الدين أخر أهـله ... ثكلتك أمك من جهول قال
أوَلم ترى الإسلام قدّم أهله ... فى سالف الأزمان والأجيال
وشهوده التاريخ والسير التى ... تتلى ومانخفى على الأطفال
وكتابه الشافى لـكل جهالة ... يدعو إلى الاحسان والأعمال
ويبصر العميان إذ يهدى إلى ... سبل الحياة بأبلغ الأقوال
يا عائب الدين الحنيف بجهله ... وبأنه كسلاسل الأغلال
هات الأدلة ياجهول بنصها ... واذكر لنا دعواك بالأمثال
الدين قال الله قال رسوله ... لاقول مبتدع وفعل ضلالى
ما أنت إلا ناقل ومقـلد ... للملحدين، شراهة فى المال
قد بعت دينك تبتغى الدنيا به ... وســـتبتلى بالفقر والإذلال
ومن الغباوة والضلالة زعمه ... إن الألى فضحوه (فى الأغلال)

حسدوه ما أدرى لأى فضيلة ألأنه أربى على الضّلاَّل
وأتى بما أعيا الأوائل قبله من كل سخف مضحك وخبال
لو أن هذا الشخص كان مغنيا أو راقصا أثرى من الأموال
ولكان أقرب أن يتوب لربه لكن غدا أضحوكة الأطفال
أسفى على هذا المسيكين الذى قد ذل بعد العز والاجلال
ولقد غدا من بؤسه مهوسا يرمى الالى نصحوه غَيْرَ مُبالِ
ويظن أن وعيده سيضيرهم والله ناصر حزبه ومُوال
فاربأ بنفسك أن تحارب قادرا يرميك فى النيران (بالأغلال)
وارجع إلى الإسلام والعرب الالى نصروه بالأرواح والأموال
ولُم الكسالى إن أردت ملامة فالذنب ذنبهم بغير جدال
شهدت له الافرنج عن علم به من بعد بحث دائم وسؤال
دين يحث على الفضيلة والتقى وعلى العلوم ونيل كل كمال
يرميه بالبهتان اخرق أحمق أعمى جهول خائب الآمال
حقا لقد هُزِلت وقام يسومها نذل غبى غافل متغال
لوثت نجدا والقصيم بوصمتى خزى وعار طيلة الأجيال
أرضيتمو يا مسلمون بسبكم وبسب دينكم القويم الغالى
أين الشهامة والشجاعة أين غيـ ـرتكم على الاسلام فى ذى الحال
والله لو أنى غدوت محكما فى الملحدين قتلتهم بنعالى
وأقول هذا ما أراه لكل من كفروا بدين إلهنا المتعالى

القصيدة النونية

في بيان الوسيلتين الإسلامية والشركية

وأنواع التوحيد

لناظم عقدها

أبي السمح محمد عبد الظاهر بن محمد نور الدين الفقيه

خادم القبلة بالمسجد الحرام ومدير دار الحديث بمكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

قُولوا لمن يَدعو سِوى الرحمنِ ... مُتَخشِّعاً في ذِلّة العُبدَانِ

يَاداعِياً غيرَ الإلهِ ألاَ اتَّئِدْ ... إنَّ الدُّعاءَ عِبادَةُ الرَّحمنِ

يَاداعِياً غَيرَ الإلهِ تقرُّباً ... في زَعْمِهِ للوَاحِدِ الدَّيانِ

أنسيتَ أنَّكَ عبدُه وفَقيره ... وَدُعاءَهُ قَدْ جاءَ في القُرآنِ (١)

الله أقربُ من دَعوتَ لكربةٍ ... وَهُوَ المجيبُ بلاَ تَوسُّط ثانِ (٢)

هَل جاء دَعوةُ غيرهِ في سُنّة ... أمْ أنت فيه تابعُ الشيطانِ

إن كنتَ فيما تَدَّعيه على هُدى ... فلتأتِنا بسوَاطِع البرهَانِ

والله مادَعت الصحابة غيرَهُ ... يَتقرَّبونَ به كذِي الأوثان

لكنّ هذا الفعل كانَ لديهمو ... شركاً وفرُّوا منه للايمانِ

ليسَ التوسل والتقربُ بالهوى ... بل بالتُّقى والبرِّ والاحسانِ (٣)

---

(١) أشير في هذا البيت إلى ماجاء من الآيات في الحث على دعاء الله وحده بالأمر والصيغة كقوله تعالى (٢ : ١٨٦ وإذا سألك عبادي عني فاني قريب ، أجيب دعوة الداع إذا دعان) وقوله (٤٠ : ٦٠ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) ونحوه من الآيات ، وهي كثيرة ، ومما ورد من الدعاء بالصيغة — قوله تعالى(وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ١٧ : ٢٤) وقوله (٢٠ : ١١٤ رب زدني علما)

(٢) أشير إلى قوله تعالى (١٦ : ٥٠ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) وقوله (١١ : ٦١ إن ربي قريب مجيب)

(٣) أي لأن التقرب إلى الله أمر شرعي لايثبت إلا بالكتاب والسنة ، كالصلاة والزكاة والصوم وغير ذلك من العبادات المعلومة من الدين بالضرورة

هـٰذا كتابُ الله يفصلُ بيننا   هل جاء فيه · توسلوا بفلان
إنَّ التوسل فى الكتابِ لواضحٌ   وإذا فطنت فانه نوعان [١]

« التوسل الشركى »

فتوسلٌ للمشركين بسورةِ الـ   إسرا « قل ادعو » ليس ذا كتمان
وبسورة الزمر اتل أولَها تَجد   نَصاً صريحا واضح التبيان

اعتراف المشركين بتوحيد الربوبية

ولئن سألتَ المشركين مَن الذى   ذرأ البرية ماله من ثان [٢]
قالوا جميعاً : ربنا لكنهم   لم يفردوه بخالص القربان
وخلاصة الزلفى لَديهم أنهم   يدعون غيرَ الله بالاحسان

---

(١) أشير إلى آية ٣٥ من سورة ٥ « المائدة » (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) فهذه وسيلة المتقين . ووسيلة المشركين مافى سورة ١٧ « الإسراء » (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ، أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) الآية ٥٧ . فالأولى بالايمان والعمل الصالح والثانية بالأشخاص كعيسى وأمه ، والملائكة ، وعزير ، وسائر المعتقد فيهم بالولاية

(٢) أشير إلى ما حكى الله عن المشركين بقوله (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله) آية ٦١ س ٢٩ « العنكبوت » . ومثلها فى القرآن كثير . قال تعالى (فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) آية ٦٥ س ٢٩ « العنكبوت »

ولقد أتى فى الذكر أن دُعاءَهم فى الكرب كان لربنا الرحمن

وإذا أتى فرجٌ وشاموا بَرقه عادوا إلى الكفران والعصيان

لكنَّ قومى فى الرخاء وضدّه يدعون غيرَ الله بالاحسان

يدعون أمواتاً غدوْا تحت الثرى ما إن لهم فى ذا الورَى من شان

والله كاشف كل كرب قادرٌ وسواه ذو عجْزٍ فقيرٌ فان

بيان العبادة واقامة الحجة على المشركين

أوَ ليس نذرك للإله عبادة أنّى يَكون لغير عال الشان

وكذاك نحرك والدعاء عبادةٌ لا تنبغى لفلانة وفلان

فعبادة المخلوق تأليه له عقلا ونقلا واضح التبيان

أفبعد هذا تستغيث بميت وتصُد عن حى سميع دان

وتروح تدعو الأولياء تألهاً وتقُول يا بدوى يا جيلانى

* * *

يدعونهم متوسلين بزعمهم ودعاؤهم شرك بنص قُران (١)

شادوا عليها بعد تصوير لها قبباً تشابه هيكل الأوثان

(١) لأن الله تعالى يقول (١٠ : ١٠٦ ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك إذاً من الظالمين) والظلم هنا هو الشرك ، لأن الله تعالى يقول (إن الشرك لظلم عظيم) وقال (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون) آية ٥ س ٤٦ « الأحقاف »

وتراهموا وقفوا لديها خشّعاً ودموعهم تجرى على الأذقان
طافوا بها سجدوا لها وتمرغوا فى تربها بغواية الفتان [١]
وجميع ما عُبد الإلٰهُ به لقد عبَدوا به الأصنام بالاحسان
كالخوف من بطش الولى وسخطه إن لم يَفوا بالنذر والقربان
وجميع هذا الشرك باسم توسل فعلوه وهو نهاية الكفران
وإذا فهمت توسلَ الشرك الذى بينته فافهم بيان الثانى

الوسيلة الايمانية

شيئان : ايمانٌ وفعلٌ صالحٌ وهما بأى الذكر مقترنان [٢]
ولكم أعيدا فى الكتاب وسنة كى يعلما للصم والعميان

---

(١) هو إبليس

(٢) أشير بذلك إلى أن أجمل الوسائل الشرعية كلها ، هو الايمان والعمل الصالح ، وقد تكررا فى القرآن والسنة ، وعلق عليهما الجزاء فى الدنيا والآخرة . كقوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) آية ١٠٧ س١٨ « الكهف » وقوله (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم) آية ٩ س ١٠ « يونس » . وقوله (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) آية ٩٧ س ١٦ « النحل » وقوله (والعصر إن الإنسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات . الخ) س ١٠٣ « العصر » وقوله (وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى ، الا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون) آية ٣٧ س ٣٤ « سبأ » وفى القرآن كثير من هذه الآيات

وتقوم حجة ذى الجلال عليهمو ويبوء أهـل الشرك بالخسران
واقرأ إذا ماشئت أقصر سورة كالعصر أو طـولى من القرآن
فاذا اردت توسـلا حقـا فخذ بهما ولا تسمع لقـول فـلان
فعليهمـا وعـد الأله بجنـة ونعيمها أبـداً مـع الرضوان
وعليهما وعد الورى طيب الحيا ة بهـذه الدنيـا مـع الغفران
والله أولى أن نطيع كتابهُ ورسوله المبعوث للتبيـان
ثقلت على الناس الفعال فيمموا نُصباً تقربهم بـــلا حسبان
واستأنسوا بدعائها واستوحشوا ممـا يقربهـم إلى الرحمن
وأمدهم فى ذا الضلال مشايخٌ باعوا الجنـان بأبخس الأثمـان
من كل أعمى كالحمـار جهـالة وغباوة يمشى بغير عنـان
وأخى ضلال ليس يدرى ماالهدى إلا شقاشق حاكها باسان
أو مدَّع لِلعلم وهـو مجرد والله من عـلم ومن إيمان
(العـلم قال الله قال رسوله) ليس الـكلام ومنطق اليونان
كلاً ولا تقليـدَ ذى عـلم مضى من غـير ماعقل ولا برهـان
إن كنت لم تسعد برؤية أحمـد أفديه بالأهالـــين والولدان
فاسعد حياتك باستماع حديثه ولتحظ منه بحفظ ذى إتقان
من كان ذا حب لأحمد فليقم برهانـــه بالسمع والاذعان

توحيد الالهية

هـذا وتوحيـد الاله بطاعة   هو محـور الاسلام والايمان
وهو الذى قد ضل عنه خلائـق   وتفرقوا من سـالف الأزمان
ومع اعترافهم الصريح بأنـه   رب الورى ما إن له من ثان
عبدوا سواه بـكل ماهو حقه   باسم التوسل وهو للشيطان
فاحذر فديتك أن تضل ضلالهم   وتمسّـكن ماعشت بالقـرآن
وبسنـة المختـار فهى بيـانه   وسواهما ضرب من الهذيان

توحيد الاسماء والصفات

وإليك توحيد الصفات فأثبتن   لله ماقد أثبت الوحيان
من غير تكييف ولاتأويل ذى   جهل أخى (جهم[1]) بلا برهان
وإذا نفى الوحيان وصفاً فانفـه   من غير مازيد ولانقصان
هذى عقيدتنا الـتى أسلافنـا   كانوا عليها ثابتى الايمـــان

توحيد الربوبية

واذا علمت بأنـه لابـد من   رب قدير خالق الأكوان

(١) جهم بن صفوان

يعطى ويمنع واحد فى صنعه ما إن له فى خلقه من ثان
فالمشركون جميعهم نطقوا بذا التوحيد فى آى من القرآن
لكنه لم يغن عنهم إذ أبوا من جهلهم أن ينطقوا بالثانى
وهو الذى الرسل الكرام دعواله من عهد نوح صاحب الطوفان
ودعا له خير الخلائق أحمد (١) ببليغ آيات وحدّ سنان
قالوا اعبدوا رب الورى ياقومنا فهو الاله الحق ذو الغفران
وبما يحب تقربوا من صالح الـ أعمال والايمان لا الأوثان
وقد اعترفتم أن ربكم الذى خلق الورى ذوالفضل والاحسان
فهل الألى تدعونهم من دونه أرجى وأرحم ياذوى الأذهان
الله أرحم من رءوم بابنها وهو القريب الحى ليس بفان
فعصى فريق قلدوا آباءهم وقد اهتدى ذو العقل والايمان
وأتى فريق الشر ما سخروا به من نقمة ونجا ذوو الشكران

تقريع الجاحدين

وقد استبان لمن أراد هداية أنواع توحيد بلا كتمان
فاذا ابتليت بجاحد ومعاند أعمى البصيرة ميت الوجدان
ويقول : لافرقٌ هناك فقل له لافرق عند (الصم والعميان (٢))

(١) معنى أحمد هو النبى عليه السلام (٢) تعريض بقول الدجوى

أما الألى بصروا ففرق عندهم بين الثلاث بحكم القرآن (١)
ولذا أقام الله ما اعترفت به فرق الضلال أدلة للثانى

خطاب لكل معطل اعمى

عطلت ربك من صفات كماله وذهبت تعبد كل ذى نقصان
وتجادل الفضلاء أعلام الهدى بأفين رأى واضح البطلان
وتحرف القرآن من أجل الهوى ومحبة للأصفر الرنان
وتؤول السنن الصحاح وتدعى مالا يصح ولا يراه اثنان
ويل لمثلك إذ ضللت عن الهدى ويل لكل مضلل فتان
خير لمثلك أن يكون مغنياً لاينتمى للعلم والعرفان
ياوصمة الاسلام ياشر الورى كيف استجزتم دعوة الأوثان
وأبحتم للناس أن يسعوا لها يرجونها بالنذر والقربان
أوليس يكفى الله عبداً إن دعا ياأمة الإسلام والقرآن
أسفى على العلماء أَقْفَرَتِ الْقُرَى منهم وكانوا زينةَ البلدان
فانظر بعينك هل ترى فى سوحها إلا مثال البوم والغربان

---

(١) وذلك فى قوله تعالى (١٣ : ١٦ قل من رب السموات والارض قل الله ، قل أفاتخذتم من دونه اولياء) وقوله (٢٧ : ٥٩ قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير اما يشركون) فتراه بعد تقرير توحيد الربوبية يقول آخر كل آية للمشركين (أإله مع الله) ولم يقل اخالق او أرب مع الله

عمم على مثل السوارى كورت ... وبدت لنا كالآل للظمآن
ولحى يداعبها الهـواء وتحتهـا ... ماشئت من بدع ومن بهتان
فَاَذرِّ الدموع عصيها ومطيعها ... وابك الأئمة دائم الاشجان
فلقد خبا نور الهدى من بعدهم ... بأولئك الحمق ذوى الأطغان
وغدا مُرِيدُ الحق مضطربًا يُرى ... فى الناس مما نَابَ كالسكران

شكر النعمة

حمداً لربى إذ هـدانى منـة ... منه وكنت على شفا النيران
والله لو أن الجـوارح كلهـا ... شكرتك ياربى مدى الأزمان
ماكنت إلا عاجزاً ومقصراً ... فى جنب شكرك صاحب الاحسان
أيدتـنى ونصرتنى وحفظتنى ... من كل ذى حقد وذى شنآن
وجذلت أعدائى ولم تتركهمو ... يمضون فى الايذاء والعدوان
أورثتنى الذكر الحـكيم تفضلا ... ورزقتنى نعمى بـلا حسبـان
ورفعت ذكرى إذ أرادوا خفضه ... وأتيت بى فى أشرف البـلدان
وأقمتـنى بين الحطيم وزمزم ... للمتقـين أؤمهم بمثـان
أكرمتنى وهديتنى وهديت بى ... ماشئت من ضال ومن حيران
اعليك يعترض الحسود إلهنـا ... وهو الـكنود وأنت ذو الاحسان
وهو الظلوم وأنت أعدل عادل ... حاشاك من ظـلم ومن طغيان

لولا عطاؤك لم أكن أهلاً لذا كلاَّ وما إن كان فى الامكان
فأَتمَّ نعمتك التى أنعمتها يا خير مدعو بكل لسان
واختم لعبدك بالسَّعادة إنه يرجوك فى سر وفى إعلان
وأبحْه جنات النعيم ورؤية ال وجه الكريم بها مع الاخوان
وانصر أخا التوحيد سيِّد يعرب (عبد العزيز) على ذوى الأوثان
واضرب رقاب الغادرين بسيفه وأذقهمُ السوءى بكل مكان
واحفظ لنا آل السعود جميعهم أنصار إسلام مدى الأزمان
وأدم صلاتك والسلام على الذى أرسلته بشرائع الايمان
والآل والأصحاب مانجمٌ بدا والتابعين لهم على الاحسان

تمت بعون الله تعالى

ويليها عقيدة أبى الحسن الأشعرى . التى وعدت باثباتها هنا فى أول الرسالة ، لتكون حجة على تلاميذه ، وهم كما قلنا جهمية .

وهى الخاتمة ، أسال الله حسنها ، وأن يجعل كل أعمالنا خالصة لوجهه تعالى . وهو حسبنا ونعم الوكيل .



عقيدة أبي الحسن الأشعري

نقلا عن كتابه « مقالات الإسلاميين »

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الامام أبو الحسن الأشعرى :

جملة ماعليه أهل الحديث والسنة : الإقرار بالله ، وملائكته ، وكتبه ورسله ، وماجاء من عند الله ، وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لايردون من ذلك شيئا ، وأن الله سبحانه وتعالى إله واحد ، فرد صمد ، لا إله غيره ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً وأن محمدا عبده ورسوله وأن الجنة حق . وأن النار حق ، وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور ، وأن الله سبحانه على عرشه كما قال (الرحمن على العرش استوى) سورة (٢٠ آية ٥)

وأن له يدين بلا كيف كما قال (خلقت بيدى) سورة (٣٨ آية ٧٥) وكما قال (بل يداه مبسوطتان) (سورة ٥ آية ٦٤)

وأن له عينين بلا كيف ، كما قال (تجرى بأعيننا) سورة (٥٤ آية ١٤)

وأن له وجهاً ، كما قال (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) سورة (٥٥ آية ٢٧)

وأن أسماء الله لايقال إنها غير الله ، كما قالت المعتزلة والخوارج .

وأقروا أن لله سبحانه علماً ، كما قال : (أنزله بعلمه) سورة (٤ آية ١٦٦) وكما قال (وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه) سورة (٣٥ آية ١١) وأثبتوا السمع والبصر ، ولم ينفوا ذلك عن الله كما نفته المعتزله ، وأثبتوا لله القوة كما قال (أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة)

وقالوا : إنه لايكون فى الأرض من خير ولا شر إلا ماشاء الله ؟ وأن الأشياء تكون بمشيئة الله كما قال عز وجل (وما تشاءون إلا أن يشاء الله) (سورة ٨١ : آية ٢٩) وكما قال المسلمون : ماشاء الله كان وما لايشاء لا يكون

وقالوا : إن أحدا لايستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعله ، أو يكون أحد يقدر أن يخرج عن علم الله ، أو أن يفعل شيئاً علم الله أنه لايفعله

وأقروا أنه لاخالق إلا الله ، وأن سيئات العباد يخلقها الله ، وأن أعمال العباد يخلقها الله عز وجل ، وأن العباد لايقدرون أن يخلقوا شيئاً .

وأن الله سبحانه وفق المؤمنين لطاعته ، وخذل الكافرين . ولطف بالمؤمنين . ونظر لهم . وأصلحهم . وهداهم . ولم يلطف بالكافرين ولا أصلحهم . ولا هداهم . ولو أصلحهم لكانوا صالحين . ولو هداهم لكانوا مهتدين . وأن الله سبحانه يقدر أن يصلح الكافرين ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين . ولكنه أراد أن يكونوا كافرين كما علم . وخذلهم وأضلهم وطبع على قلوبهم . وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره

ويؤمنون بقضاء الله وقدره خيره وشره . حلوه ومره . ويؤمنون أنهم لايملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً . إلا ماشاء الله كما قال .

ويلجئون أمرهم إلى الله سبحانه . ويثبتون الحاجة إلى الله فى كل وقت . والفقر إلى الله فى كل حال .

ويقولون : إن القرآن كلام الله غير مخلوق . والكلام فى الوقف واللفظ ، من قال باللفظ أو بالوقف فهو مبتدع عندهم ، لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق ولا يقال غير مخلوق

ويقولون : إن الله سبحانه يُرى بالأبصار يوم القيامة ، كما يرى القمر ليلة البدر ، يراه المؤمنون ولا يراه الكافرون ، لأنهم عن الله محجوبون . قال الله عز وجل (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) [سورة ٨٣ آية ١٥] وإن موسى عليه السلام سأل الله سبحانه الرؤية فى الدنيا ، وإن الله سبحانه تجلى للجبل فجعله دكا ، فأعلمه بذلك أنه لا يراه فى الدنيا . بل يراه فى الآخرة

ولا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه ، كنحو الزنا والسرقة وما أشبه ذلك من الكبائر . وهم بما معهم من الايمان مؤمنون ، وإن ارتكبوا الكبائر

والايمان عندهم ، هو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشره ، حلوه ومره ، وأن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم ، وما أصابهم لم يكن ليخطئهم .

والاسلام : هو أن يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله على ما جاء فى الحديث . والاسلام عندهم غير الايمان .

ويقرون بأن الله سبحانه مقلب القلوب

ويقرون بشفاعة رسول الله ﷺ ، وأنها لأهل الكبائر من أمته

وبعذاب القبر . وأن الحوض حق ، والصراط حق ، والبعث بعد الموت حق ، والمحاسبة من الله عز وجل للعباد حق، والوقوف بين يدى الله حق

ويقرون بأن الايمان قول وعمل يزيد وينقص ، ولا يقولون مخلوق ، ولا غير مخلوق . ويقولون : أسماء الله هى الله

ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار ، ولا يحكمون بالجنة لأحد من الموحدين ، حتى يكون الله سبحانه ينزلهم حيث شاء ويقولون أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم ، ويؤمنون بأن الله سبحانه يخرج قوما من الموحدين من النار على ماجاءت به الروايات ، عن رسول الله ﷺ

وينكرون الجدل والمراء فى الدين ، والخصومة فى القدر ، والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون فيه من دينهم ، بالتسليم للروايات الصحيحة، ولما جاءت به الآثار التى رواها الثقات عدلا عن عدل حتى ينتهى ذلك إلى رسول الله ﷺ ، ولا يقولون : كيف ، ولا لم ؟ لأن ذلك بدعة ويقولون : إن الله لم يأمر بالشر ، بل نهى عنه ، وأمر بالخير . ولم يرض بالشر وإن كان مريداً له

ويعرفون حق السلف الذين اختارهم الله سبحانه لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ويأخذون بفضائلهم ، ويمسكون عما شجر بينهم ، صغيرهم وكبيرهم ، ويقدمون أبا بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم عليا رضوان الله عليهم، ويقرون أنهم الخلفاء الراشدون والمهديون ، أفضل الناس كلهم بعد النبى صلى الله عليه وسلم

ويصدقون بالأحاديث التى جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن الله سبحانه ينزل إلى السماء الدنيا ، فيقول : هل من مستغفر » كما جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويأخذون بالكتاب والسنة ، كما قال الله عز وجل (٤ : ٥٩ فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول) ويرون اتباع من سلف من أئمة الدين ، وأن لا يبتدعوا فى دينهم ما لم يأذن به الله

ويقرون أن الله سبحانه يجىء يوم القيامة كما قال (٨٩ : ٢٢ وجاء ربك والملك صفا صفا) وأن الله يقرب من خلقه كيف شاء ، كما قال (٥٠ : ١٢ ونحن أقرب اليه من حبل الوريد)

ويرون العيد والجمعة والجماعة خلف كل إمام ، بر وفاجر . ويثبتون المسح على الخفين سنة ، ويرونه فى الحضر والسفر . ويثبتون فرض الجهاد للمشركين منذ بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم إلى آخر عصابة تقاتل الدجال ، وبعد ذلك . ويرون الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح ، وأن لا يخرجوا عليهم بالسيف ، وأن لا يقاتلوا فى الفتنة ، ويصدقون بخروج الدجال ، وأن عيسى بن مريم يقتله . ويؤمنون بمنكر ونكير ، والمعراج ، والرؤيا فى المنام ، وأن الدعاء لموتى المسلمين والصدقة عنهم بعد موتهم تصل إليهم ، ويصدقون بأن فى الدنيا سحرة ، وأن الساحر كافر ، كما قال الله ، وأن السحر كائن موجود فى الدنيا .

ويرون الصلاة على كل من مات من أهل القبلة ، برهم وفاجرهم ، وموارثتهم . ويقرون أن الجنة والنار مخلوقتان . وأن من مات مات بأجله

وكذلك من قتل قتل بأجله ، وأن الأرزاق من قبل الله سبحانه ، يرزقها عباده ، حلالا كانت أو حراماً ، وأن الشيطان يوسوس للانسان ويشككه ويخبطه ، وأن الصالحين قد يجوز أن يخصهم الله بآيات تظهر عليهم . وأن السنة لاتنسخ القرآن ، وأن الأطفال أمرهم إلى الله ، إن شاء عذبهم ، وإن شاء فعل بهم ما أراد . وأن الله عالم ما العباد عاملون ، وكتب أن ذلك يكون . وأن الأمور بيد الله . ويرون الصبر على حكم الله ، والأخذ بما أمر الله به ، والانتهاء عما نهى الله عنه ، وإخلاص العمل والنصيحة للمسلمين

ويدينون بعبادة الله فى العابدين ، والنصيحة لجماعة المسلمين ، واجتناب الكبائر ، والزنا ، وقول الزور ، والعصبية ، والفخر والكبر والازراء على الناس ، والعجب .

ويرون مجانبة كل داع إلى بدعة ، والتشاغل بقراءة القرآن ، وكتابة الآثار ، والنظر فى الفقه ، مع التواضع والاستكانة وحسن الخلق ، وبذل المعروف ، وكف الأذى ، وترك الغيبة والنميمة والسعاية ، وتفقد المأكل والمشرب .

فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه

وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول ، وإليه نذهب . وما توفيقنا إلا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وبه نستعين ، وعليه نتوكل وإليه المصير . اه

يقول عبد الظاهر محمد ابو السمح ، إمام الحرم المكى ومدير دار الحديث : وبكل ماذكر من قوله نقول ، وبما دانوا به ندين ، على بصيرة ونور ، لا بعصبية وتقليد .

وقد نقلنا هذه النسخة حرفيا من كتاب المقالات للإمام أبى الحسن الأشعرى ، لتكون حجة على الذين يزعمون أنهم أشعريو العقيدة ، وهم فى الحقيقة جهميون ، أتباع الجهم بن صفوان الخبيث ، المنكر صفات الرب سبحانه وتعالى ، النافى كل مادلت عليه الآيات والأحاديث بالتأويل والتعطيل

وينبغى هنا ، أن نقول لإخواننا المسلمين « كلمة مختصرة موجزة فى التوحيد » نصيحة خالصة لله ولرسوله ﷺ

التوحيد ثلاثة أنواع : توحيد الربوبية ، وهو تفرد الله تعالى بالخلق والرزق وتدبير شؤون العالم كله ، وتوحيد الألهية ، وهو إفراد الله تعالى بالعبادة . وتوحيد الأسماء والصفات ، وهو أن تثبت لله من الأسماء والصفات كل ما أثبتها لنفسه فى كتابه ، أوعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم . وتنفى ما نفى ، بغير تأويل ولاتعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل ، اتباعا للسلف الصالح رضى الله عنهم .

ومما ينبغى أن يعلم ، أن الدين الاسلامى يدور على قطب واحد ، وهو أن تكون العبادة كلها لله وحده ، خالصة من كل شوب ، ويشترط فيها أن تكون مشروعة لادخل للهوى فيها

وينبغى أن يعرف المسلم : ماهى العبادة وأنواعها ، حتى لايجعل منها شيئا لغير الله تعالى بأسماء أخرى

وشرح ذلك يطول . وقد بيناه فى رسالتنا « حياة القلوب » والرسالة المكية .

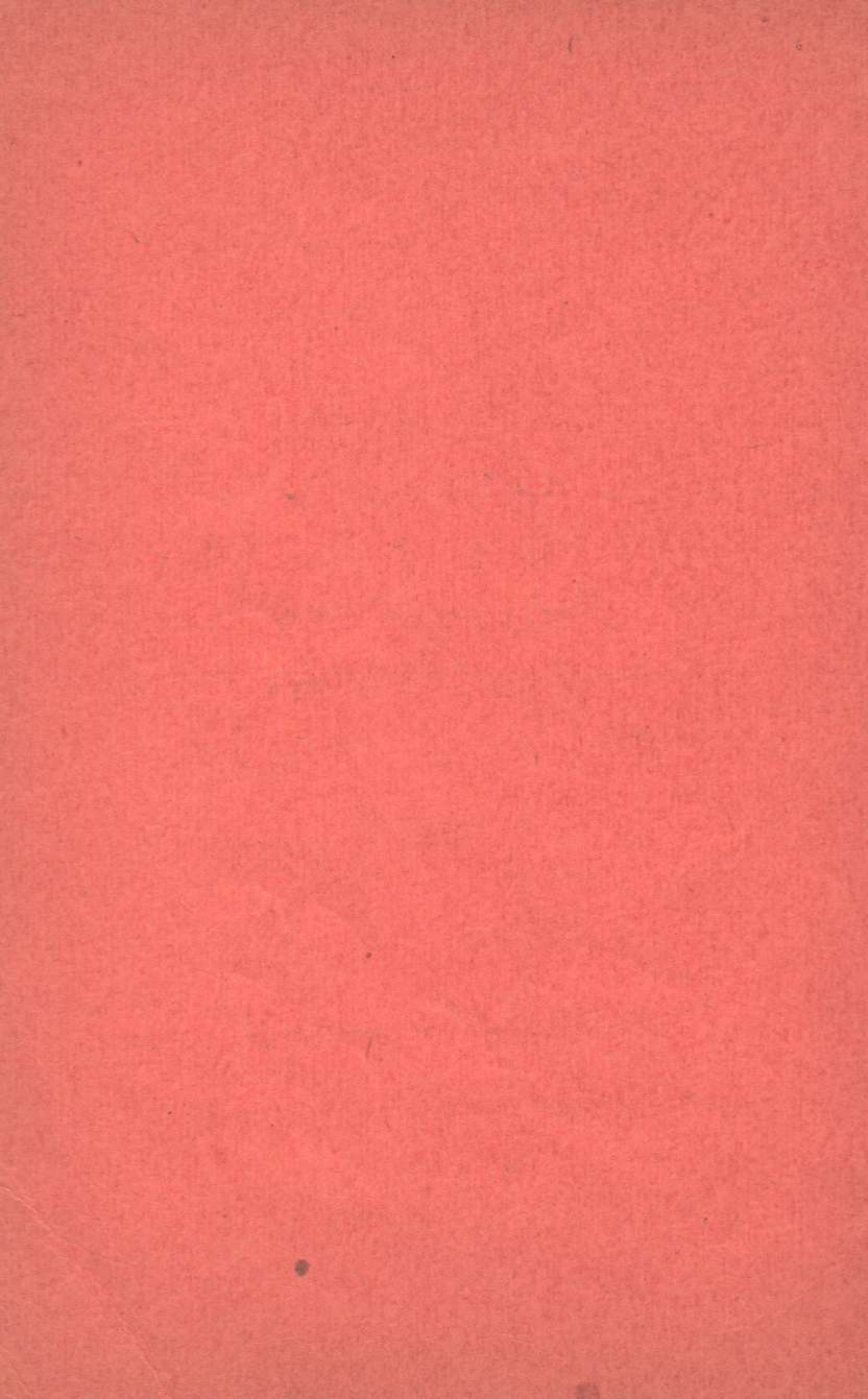
وقد بينه كثير من الأئمة الأعلام ، كشيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم ، وصاحب المنار فى هذا العصر ، وبالله التوفيق . وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم

وكان الفراغ من تحريره ضحوة يوم الخميس الموافق ٢١ جمادى الثانية سنة ١٣٥٢ هجرية ، بمكة المكرمة ، والحمد لله رب العالمين .

« وكتبه أبو السمح »

تصحيح

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٠	٣	الصفح	الصفع
٥٥	٧	يخطوها	يخطونها



مطبوعات المؤلف

- ١٠ حياة القلوب بدعاء علام الغيوب
- ٢ مناسك الحج
- ٢ آداب تلاوة القرآن واستماعه
- ٨ الأولياء والكرامات

تطلب من المؤلف بمكة المكرمة ومن مكتبة

مصطفى ميرو بمكة ومن مكتبة أنصار السنة بمصر

١٠ — الدمالشه — عابدين